التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 198 السنة 22 - مايو 2024

هجمة مُمنهجة على مكاسب العمّال

أسئلة أثارتها حرب الإبادة على غزّة

اللوحة للفنان الفلسطيني عماد أبو أشتيه

موقفنا

لتلي الخطوة خطوات أهمّ وأوسع

عاش المجتمع البحريني عشيّة وأيام الفطر السعيد فرحة كبرى بالعفو الملكي عن أكثر من 1500 سجين وموقوف، بينهم المئات من المحكومين على خلفية الاحداث التي جرت في البحرين عام 2011، فخطوة مثل هذه كانت منتظرة من مئات الأسر في مختلف مناطق البلاد، من أبنائهم وآبائهم ومعيليهم ممن غيبتهم السجون عنهم خلال سنوات طويلة، كما أن المجتمع في أمسّ الحاجة لأن يتعافى من التبعات الثقيلة لما شهدته البلاد من تدابير أمنية صارمة، وان يخطو خطوات ملموسة نحو أفق أفضل للبلاد، يعيد الأجواء الإيجابية التي عرفناها عشيّة التصويت على ميثاق العمل الوطني، وما رافقه وتلاه من خطوات أحدثت تحوّلاً مهماً في البلاد، بالإفراج عن كافة المعتقلين والسجناء، وعودة المنفيين والمهجرين، وإلغاء قانون امن الدولة، وتوسيع مساحة التعبير، بما في ذلك حرية الصحافة، والسماح بقيام الجمعيات السياسية وبحرية العمل النقابي، وسواها من خطوات مهمّة.

للأسف الشديد لم يجر الاستمرار بالوتيرة نفسها في مسار الإصلاحات. بعد سنوات حدث تراخ وتراجع في الأداء، وصدرت تشريعات قيّدت المكتسبات التي تحققت، بما في ذلك تضييق صلاحيات السلطة التشريعية كثيراً قياساً إلى ما كانت عليه في التجربة البرلمانية الأولى في السبعينات الماضية، والتي جرى وأدها مبكراً، وجاءت تداعيات أحداث عام 2011 لتعيدنا إلى الكثير من أوجه الفترة السابقة للمشروع الإصلاحي.

من هذه الزاوية فإن القوى السياسية والمجتمعية ومؤسسات المجتمع المدني والشخصيات الوطنية المستقلة ترحب بأيّ خطوة من شانها أن تقود البلاد إلى مناخ مختلف، وهذا ما تجلى في استقبالنا جميعاً للعفو الملكي الأخير، وهي الخطوة التي قال عنها منبرنا التقدمي في البيان الذي أصدره بهذا الخصوص «لامست نبض الشارع، حيث أثلجت صدور العوائل التي انتظرت عودة أبنائها لسنوات طويلة، ولمسنا جميعاً مقادير الفرح والسرور في نفوس الأهالي في مختلف مدن وقرى البحرين».

هذه الخطوة الإيجابية، على أهميّتها، ليست كافية، ومن هنا تأتي مطالبتنا بأن تليها خطوات أخرى «في اتجاه تبييض السجون والمعتقلات وإغلاقٍ هذا الملف الذي أثقل كاهل البحرين، حكومة وشعباً، وفتح صفحة جديدة تترسخ فيها التحولات الديمقراطية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان، وإطلاق حوار وطني شامل تُمثل فيه الجمعيات السياسية بما فيها المنحلة والشخصيات الوطنية وممثلي المجلس النيابي، من أجل بلوغ توافق وطني شامل يضع مصلحة البحرين وأمنها واستقرارها فوق أي اعتبار آخر، ويحقق تطلعات شعبها ومطالبه المشروعة في حياة حرّة كريمة».

التقدمي

التقدمي يطالب بإطلاق حوار وطني يفضي إلى تسوية سياسية شاملة

دعا المنبر التقدمي إلى حوار وطني تشارك فيه ممثلين الدولة، الجمعيات السياسية، المجلس النيابي، الشخصيات الوطنية، كما دعا لتسوية الملفات السياسية العالقة لتكون كفيلة بتدشين عهد سياسي يعيد إلى واقعنا الحالي الأمل في مستقبل آمن ومشاركة شعبية واسعة وجامعة لكل فئات ومكونات أبناء الشعب البحريني.

وقال التقدمي في بيان له بأن: «حالة الاحتقان والمراوحة، وهيمنة القرار الفردي، وسياسة القبضة الأمنية، وبسط سلطان الدولة ونفوذها على السلطة التشريعية، أفرغ المشروع الإصلاحي الذي أطلقه جلالة الملك منذ أكثر من عقدين من فحواه ومضمونه السياسي والاجتماعي وأغرق البلد بوهم الهواجس الأمنية، وهذا الواقع عزز غياب دور المشاركة الشعبية وساهم في تكلس بطانة الفساد وهدر المال العام والتطاول على صناديق الضمان الاجتماعي بما فيها التعطل والتأمينات الاجتماعية دون رقابة ومحاسبة فعلية».

كما طالب التقدمي: «بتصفير السجون من كافة المحكومين في قضايا ذات صلة بالشأن السياسي، وإنهاء حالة العزل السياسي للشخصيات والجمعيات السياسية وتجديد تراخيص تلك الجمعيات التي تم حلها في حال رغبت العودة لنشاطها السياسي وإعادة فتح مقراتها المغلقة».

وكذلك طالب: «بإعادة الجنسية لمن حرم منها لأسباب سياسية، وتمكين المبعدين والمهجرين العودة لأرض الوطن بإطلاق الضمانات الأمنية لهم، ورفع سقف الحريات العامة بما فيها حرية الصحافة والنشر والتعبير في كافة الوسائل المتاحة».

كما شدد التقدمي على أهمية: «طرح المراسيم بقانون المرتبطة بالجمعيات السياسية، العمل السياسي في العموم مثل قانون مباشرة الحقوق السياسية ومجلسي الشورى والنواب، قانون الجمعيات السياسية، قانون الاجتماعات العامة والمسيرات والتجمعات لإعادة النظر والمناقشة والتعديل للتوافق عليها مجدداً».

التقدمي يُحيي خطوة الإفراج عن السجناء السياسيين

عبر المنبر التقدمي عن تقديره الكبير للعفو الملكي عن 1584 معتقل ومحكوم، بينهم جموع كبيرة من المعتقلين والسجناء السياسيين، ويرى فيها خطوة لامست نبض الشارع، واستجابة لنداءات القوى السياسية والمجتمعية المختلفة ومؤسسات المجتمع المدني، ولمطالب أهالي السجناء والمعتقلين، حيث أثلجت هذه الخطوة صدور العوائل التي انتظرت عودة أبنائها لسنوات طويلة، ولمسنا جميعاً مقادير الفرح والسرور في نفوس الأهالي في مختلف مدن وقرى البحرين، مذكرة بمشاعر البهجة التي عمّت البلاد في بداية الانفراج السياسي في فبراير من عام 2001.

وطالب التقدمي في بيان بهذا الصدد بأن تلي هذه الخطوة خطوات أخرى في اتجاه تبييض السجون والمعتقلات وإغلاق هذا الملف الذي أثقل كاهل البحرين، حكومة وشعباً، وفتح صفحة جديدة تترسخ فيها التحولات الديمقراطية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان، وإطلاق حوار وطني شامل تُمثل فيه الجمعيات السياسية بما فيها المنحلة والشخصيات الوطنية وممثلي المجلس النيابي، من أجل بلوغ توافق وطني شامل يضع مصلحة البحرين وأمنها واستقرارها فوق أي اعتبار آخر، ويحقق تطلعات شعبها ومطالبه المشروعة في حياة حرّة كريمة.

وبارك التقدمي لأهالي المفرج عنهم عودة أبنائهم إليهم، راجياً أن تتواصل أفراح البحرين، بالإفراج عن باقي المعتقلين والسجناء السياسيين، كباكورة لمشروع سياسي واسع ينهي حالة الاحتقان السياسي ويقود البلاد إلى ضفة المصالحة الوطنية الشاملة.

المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع تجدد مطالبتها بقطع العلاقات مع الكيان الغاصب

أكدت المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني على التمسك بموقف الشعب البحريني المبدئي والثابت في وقوفه بجانب الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه وإقامة الدولة الفلسطينية على كامل التراب الوطني الفلسطيني، والتأكيد على ضرورة إيقاف العدوان الصهيوني على أهلنا في قطاع غزة وانسحاب قوات الاحتلال من كامل القطاع الإفراج عن كل الأسرى.

أوضحت المبادرة التي تضم كل من: المنبر التقدمي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، جمعية أوال النسائية، جمعية مبادرات البحرين الأهلية، الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، التجمع القومي الديمقراطي، جمعية الأصالة الإسلامية، الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، جمعية أصدقاء البيئة، تجمع الوحدة الوطنية، رابطة شباب لأجل القدس البحرينية، جمعية مناصرة فلسطين، جمعية المرأة البحرينية، جمعية نهضة فتاة البحرين، جمعية الاجتماعيين البحرينية، الجمعية البحرينية للشفافية، الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان، المنبر الوطني الإسلامي، جمعية الصف الإسلامي، جمعية مدينة حمد النسائية، جمعية الشبيبة البحرينية، جمعية فتاة الريف، الاتحاد النسائي البحريني، جمعية المحامين البحرينية، جمعية الشباب الديمقراطي البحريني، الوسط العربي الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري (جود)، بأنها: «تمثل أغلب منظمات المجتمع المدني والجمعيات السياسية في البحرين».

وطالبت في بيان لها: «حكومة البحرين تحمل مسؤوليتها الشرعية والوطنية والقومية وذلك بالإنصات لصوت الشعب وضميره الحي المطالب بإغلاق سفارة العدو وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني الذي أدانته محكمة العدل الدولية لارتكابه الإبادة الجماعية والفصل العنصري والتطهير العرقي. ومن واجب حكومة البحرين مقاطعة الكيان الصهيوني وشركاته والوقوف إلى جانب شعب فلسطين».

ودعت المبادرة: « الشعب البحريني الاستمرار في مقاطعة الشركات الداعمة للكيان الغاصب، وخاصة شركات الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية باعتبارها شريكة وضليعة في الإبادة الجماعية القائمة والمستمرة بحق أهلنا في غزة».

وشدد البيان على: «استمرار دعم الشعب الفلسطيني بكافة الأشكال الممكنة بما فيها الدعم المادي والمعنوي والسياسي، والحذر من الاختراقات التي تنفذها الدوائر الصهيونية في بلادنا بأشكال متعددة بما فيها تزوير مصدر السلع وتبديلها باسم إحدى الدول العربية المطبعة».

فضفضة

جيران المصانع

عيسى الدرازي

في صيف العام 2006 أطلقت جمعية الشبيبة البحرينية حملة وطنية نوعية وفريدة من نوعها وطريقة عملها تحت شعار عام «نريدها للجميع»، وضمّت الحملة تحت عنوانها العريض ثلاثة مسارات مختلفة ومتفقة في ذاتها وكانت حول: الاختلالات العمرانية بين بيوت آيلة للسقوط تقابلها غابات من الاسمنت والزجاج، والمحور الثاني تطرق لما تتعرض له السواحل من دفن وردم لإنجاز جزر استثمارية ومشروعات سياحية، أما أبرز محاور تلك الحملة فقد وُجه إلى جيران المصانع وما يتعرض له الأهالي وقاطنو تلك المناطق من انبعاثات غازية.

وبعد قرابة العشرين عاماً من تلك الحملة الوطنية وغيرها من المطالبات والتحركات والأهلية للمسؤولين بالنظر بعين جادة ومحايدة فيما يعانيه قاطنو تلك المناطق والقرى، وما رافق ذلك من تراجع الاهتمام الإعلامي والشعبي بمصائر الأهالي، تعود ذات الغازات لتخنق أنفاس الناس ولكن في هذه المرة ليست جزيرة سترة وحدها التي ذاقت مرارة السم، بل حتى المناطق البعيدة نسبياً كالبديع مثلاً والتي تقع في الاتجاه المعاكس جغرافياً من جزيرة سترة، تنفست ذلك الهواء الفاسد.

في المقابل، كان التعاطي الرسمي مع حادثة تسرب غاز النفثا من أحد خزانات النفط في سترة، يفتقد للشفافية الكاملة، فجاءت كل جهة تعطي توجيهات مختلفة عن زميلاتها، وكأنما لم نتعلم الدروس الصعبة التي ساقتها جائحة كرونا سيئة الصيت. لا يمكن أن يؤدي الانكار والغموض لعواقب حميدة وهي ما كانت الجهات الرسمية تقوم بنقيضه تماماً في أزمة كورونا حيث انت تقوم بنشر معلومات يومية ومؤتمرات صحفية دورية ونشرات صحية صريحة ومباشرة حفاظاً على صحة الناس وتجبناً لإيجاد بيئة خصبة للإشاعات والاخبار الكاذبة والمعلومات المغلوطة. في أزمة تسرب الغاز لم تقم الجهات الرسمية بذلك في البداية، حتى زاد الأمر وفاق مداه وبات الهواء ثقيلاً خانقاً عم غالبية البلد، حينما فقط جاء التغير في الموقف الرسمي.

انتشار الهواء بتلك الصورة يذكر كم هي البحرين صغيرة وأي خطر يهدد الجميع وليس محصوراً في قرية معينة لا سيما وان كانت انبعاثات غازية وهي الأخطر من حيث السيطرة والتحكم، كما أنّ التعاطي بشفافية مع الأزمات الصحية والبيئية وغيرها من الأمور التي تهم عامة الناس هي من الأولويات القصوى لحفظ صحة الناس والسيطرة على ما يمكن أن ينتج عن تلك الأزمات صحياً واجتماعياً بل وحتى أمنياً.

57 مليون دينار خسائر العوائل البحرينية جرّاء ترك العاملات المنزليات للعمل

كشف علي الحداد عضو مجلس الشورى أن حجم الأموال التي خسرتها الأسر البحرينية جرّاء ترك 57 ألفًا من عاملات المنازل للعمل في فترة قصيرة تجاوز الـ57 مليون دينار.

وأضاف: «إذا سلمنا جدلاً أن سعر استقدام العاملة هو 1000 دينار، ففي حال تجاوز هذا المبلغ فإن الخسارة تتضاعف»، داعيًا الأعضاء إلى الموافقة على اقتراح تحديد أسعار استقدام الخدم ومن في حكمهم.

من جهته قالت د. جهاد الفاضل النائب الثاني لرئيس مجلس الشورى إنها تتفق في المبدأ مع مقدمي الاقتراح بشأن وضع سقف أعلى لأسعار استقدام العمالة المنزلية، إذ إن ارتفاع أسعار استقدام العمالة المنزلية أصبح موضوعًا اجتماعيًا ملحًّا، لافتة إلى أنه لا يوجد في الأفق أي بوادر لاستقرار أو انخفاض في الأسعار.

ولفتت إلى أن رد الوزارة كان يفيد بدراسة توسيع استقدام العمالة والانفتاح بشكل أكبر على الدول المصدرة للعمالة، مضيفة أنه يجب مراعاة البعد الأمني والقيمي للمجتمع، وأن تكون الخطوات للانفتاح على هذه الدول الجديدة مرتبطة بسجل بسلوكيات أفرادها؛ كي لا تكون الأسر البحرينية ضحايا لسلوكيات إجرامية جديدة، كما حدث في السابق عند تسهيل إجراءات استقدام العمالة الأفريقية.

«الأيام» – 21 أبريل 2024

مبادرة لهيئة تنظيم سوق العمل والمنظمة الدولية للهجرة

تعتزم هيئة تنظيم سوق العمل بالتعاون مع المنظمة الدولية للهجرة إطلاق مبادرة جديدة تحت شعار «معًا نعمل»؛ لرفع الوعي المجتمعي العام بحقوق وواجبات أطراف العمل «أصحاب العمل والعمال»، وذلك في إطار الحرص على تطوير بيئة العمل، وبما يسهم في تحقيق العدالة والإنصاف والاستقرار فيها.

أكدت إيريكا برويرز، رئيسة بعثة المنظمة الدولية للهجرة في البحرين بالإنابة، أن المبادرة تشكل علامة بارزة أخرى في مسيرة مملكة البحرين نحو تعزيز حماية العمالة الوافدة، وذلك من خلال إطلاق المبادرات الرائدة والداعمة لتوجه المملكة في مجال مكافحة الاتجار بالأشخاص، مشيرة إلى أن المبادرة ستسهم وبشكل فاعل في رفع الوعي المجتمعي من خلال اعتماد نهج متكاملة.

وستتضمن المبادرة عددًا من الأنشطة التوعوية، من بينها فعاليات وبرامج للتعريف بالإجراءات التي تقدمها مملكة البحرين لتعزيز بيئة العمل، سواءً الموجهة لأصحاب العمل أو العمالة، إلى جانب عرض متكامل للفئات المستهدفة بالأنظمة والقوانين الخاصة بسوق العمل.

كما سيتم إطلاق استبانات من خلال المنصات الرقمية لهيئة تنظيم سوق العمل؛ بهدف جمع البيانات التي تساعد على قياس مستوى الوعي بقوانين وأنظمة سوق العمل، وتعزز فهم أطراف العمل لحقوقهم وواجباتهم، وذلك بما يضمن حصول أصحاب العمل والعمالة على المعلومات التي يحتاجونها.

«الأيام» – 6 ابريل 2024

منظمة العمل الدولية: 70% من العمال عُرضة لمخاطر تغيّر المناخ

أفادت منظمة العمل الدولية بأن حوالي 70٪ من القوى العاملة حول العالم عُرضة لمخاطر متعلقة بالاحتباس الحراري، الذي يتسبب في وفاة مئات الآلاف سنوياً، وحثت الحكومات على التحرك مع ارتفاع عدد المتأثرين بمخاطر تغير المناخ.

والعمال، لا سيما الفئات الأفقر حول العالم، أكثر عُرضة من بين السكان عامة لمخاطر الظواهر المناخية المتطرفة، مثل: «موجات الحر، والجفاف، وحرائق الغابات، والأعاصير» كونهم أول من يتعرض لها، أو يتعرضون لها لفترات أطول، وبكثافة أعلى.

وذكرت المنظمة في تقرير، أن الحكومات وأصحاب العمل يكافحون لحماية العاملين مع تسارع التغير المناخي.

وأوضح التقرير، الذي يحمل عنوان: «ضمان السلامة والصحة في العمل في مناخ متغير»، في استنتاجاته أن «عدداً هائلاً من العمال يتعرضون بالفعل للمخاطر المتعلقة بتغير المناخ في مكان العمل، ومن المرجح أن تزداد هذه الأرقام سوءاً».

وأضاف: «مع تطور (المخاطر) وتعمقها، سيكون من الضروري إعادة تقييم التشريعات القائمة، أو تطوير لوائح وتوجيهات جديدة».

وأشار تقرير المنظمة إلى أن تلوث الهواء هو الخطر الأكثر فتكاً، إذ يتسبب في نحو 860 ألف حالة وفاة مرتبطة بالعمل سنوياً بين العاملين في أماكن مفتوحة، وأن الحرارة المفرطة تسبب 18 ألفاً و970 حالة وفاة مرتبطة بالعمل سنوياً، فيما تتسبب الأشعة فوق البنفسجية في وفاة 18 ألفاً و960 بسبب سرطان الجلد.

وتابع: «التداعيات الأكبر سيشعر بها العمال الفقراء، والعاملون في الاقتصاد غير الرسمي، والعمال الموسميون، والعاملون في المشروعات الصغيرة، ومتناهية الصغر».

وتخطط منظمة العمل الدولية لاجتماع كبير ينعقد في عام 2025 لممثلي الحكومات، وأصحاب العمل والعمال بهدف تقديم التوجيه فيما يتعلق بسياسات المخاطر المناخية.

«الشرق» المصرية – 23 ابريل 2024

تنامٍ في حالات الإتجار بالأشخاص في العمل عالمياً

أشار رئيس هيئة تنظيم سوق العمل، رئيس لجنة اللجنة الوطنية لمكافحة الاتجار بالأشخاص الأسبق، المستشار أسامة عبدالله العبسي إلى أن نظام الإحالة الوطني في البحرين نحو 10000 حالة سنوياً، يشكل الاتجار منها اقل من 1٪ لكن لو اذا تم تحليل البيانات، سيتم التعرف الى وجود ممارسة جديدة ستدفع باتجاه تطوير الإجراءات لمنع وقوع جريمة الاتجار.

وكشف العبسي عن ان اشكال هذه الجريمة في مختلف انحاء العالم، تشكل أربعة اضعاف الاستغلال الجنسي مثل الاجبار على البغاء. لذا لا يشكل الاستغلال الجنسي من اشكال الاتجار بالأشخاص اكثر من 15٪.

وقال العبسي: «لا يشكل الاستغلال الجنسي سوى 10٪-15٪ ويعتبر احد اشكال هذه الجريمة التي يمكن التعرف على حدوثها بسهولة مقارنة بأشكال الجريمة الأخرى التي يشكل الأساس بينها العمل القسري، او ما يعرف بـ العبودية الحديثة».

«الأيام»- 3 ابريل 2024

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

«سوق العمل»: 0.2 % نسبة ترك الأجانب للعمل بشكل مخالف خلال 14 شهراً

أعلنت هيئة تنظيم سوق العمل إصدارها 562593 تصريح عمل لفئتي العمالة بالقطاع التجاري والعمالة المنزلية ومن في حكمهم، وذلك منذ بداية الفصل التشريعي السادس وحتى تاريخ 11 فبراير 2024، مشيرة في الوقت ذاته إلى أن عدد حالات ترك العمل منها بما يخالف القانون بلغت 1337 حالة، أي بنسبة 0.2 ٪.

وأوضحت الهيئة، في معرض ردها على سؤال للنائب أحمد قراطة أن "وقف العمل بإصدار تصاريح للأجانب بالعمل المرن في أكتوبر 2022، أي قبل بداية الفصل التشريعي السادس بشهر ديسمبر 2022، حينها كان تصحيح وضع العمالة غير النظامية بمملكة البحرين غير الخيارات التالية: مغادرة المملكة طوعيا أو الإبعاد بحسب الأحوال أو الالتحاق بالعمل لدى صاحب عمل بحال توافر شروط إصدار تصاريح العمل بشأن الأجنبي كعامل أجنبي، أو التسجيل في نظام تسجيل العمالة".

وفيما يتعلق بالإجراءات المتخذة لوضع تدابير أو حلول أو خطط جادة وصارمة لمكافحة حالات هروب العمالة الأجنبية وخدم المنازل بشكل غير طبيعي في الفترة الأخيرة، أوضحت هيئة تنظيم سوق العمل أن "هناك العديد من الإجراءات المعمول بها في حالة ترك العمل بالمخالفة لشروط تصريح العمل، وبناء على تلك الإجراءات تقوم الهيئة بضبطهم وضبط من يوظفهم، من خلال التفتيش على مواقع العمل، ويتم تحرير المحاضر بشأن هذه المخالفات ومن ثم إحالتها إلى النيابة العامة، وأي شخص يثبت من خلال التحقيق أنه قام بتحفيز العامل على الهرب وإيصاله إلى صاحب العمل المخالف، فإنه يعتبر شريكاً في المخالفة، ويعاقب بذات عقاب صاحب العمل".

«الوطن» - 16 أبريل 2024

في عيد العمال العالمي

التقدمى: إعادة ترتيب الأولويات لمواجهة الهجمة الممنهجة على المكاسب العمالية

دعا المنبر التقدمى يدعو جماهير الطبقة العاملة الالتفات إلى المستقبل المبهم الذي ستواجهه قيادات العمل النقابية، مما يفرض على كل المعنيين والمنخرطين في العمل النقابي، مواجهة جشع الشركات، وسماسرة الخصخصة، مؤكداً أنه ولإنجاح دور النقابات يتعين إعادة ترتيب المهام والأولويات الملحة والعمل على تكثيف نضالها في مواجهة سياسة التفتيت وشق الصف الوطني.

إعادة الاعتبار لدور الطبقة العاملة

وقال التقدمي في بيانٍ أصدره بمناسبة الأول من مايو، عيد العمال العالمي، «إن إعادة الاعتبار لدور الطبقة العاملة لن يتم ما لم يترافق مع مسيرة العمل النقابي الوعي بأهمية الدور الطبقي والمحوري المنوط به عمل النقابات، بما فيها نقل الصراع من التكالب على المصالح الآنية والفئوية والفردية الضيقة إلى فضح المسار الرسمي الممعن في تنفيع الشركات وإثراء البرجوازيين، ويتم كل هذا بحرف القرار والسياسة الرسمية نحو التوغل في خصخصة القطاعات العامة ومؤسسات الدولة ذات النفع الاجتماعي، واخضاع تلك المؤسسات إلى معيار الربح والخسارة من منظور طبقي ضيق على حساب مصالح الغالبية من الطبقات الفقيرة وذوي الدخل المحدود».

وإذ يرى التقدمي أن هذا التراجع في دور الطبقة العاملة له أسبابه و جذوره في طبيعة الصراع بين قوى الحراك والنضال العمالي والوطني، فإنه أيضاً يعي الدور الرجعي المتلبس في الموروث الطائفي، العقائدي، المناطقي، هذا الدور تقف خلفه وتغذيه مصالح النفوذ والفساد الإداري.

هجمة ممنهجة على مكاسب الطبقة العاملة

وقال التقدمي: «إن هذا التراجع لدور نضالات جماهيرنا الكادحة جزء من الأزمة العالمية والهجمة الممنهجة على مكاسب الطبقات الكادحة ويؤكد على أن ما تواجهه الحركة العمالية محلياً، ما هو إلا نتاج سياسات ونهج يسود في العالم، وبما يسوق له من سياسات تشغيل ظالمة إضافة إلى ما يرافقها من سياسة إشعال الحروب والسعي للسيطرة على مقدرات الشعوب وتأمين إستغلالها بشروط مجحفة تهدف منها تمكين حيتان المال العالمي ووكلاؤه المحليين من جني المزيد من الأرباح على حساب حياة الشغيلة وأمن افراد البشرية جمعاء.

مصاعب وتحدّيات

وأوضح التقدمي أن ما تواجهه الشغيلة في البحرين من مصاعب وتحديات تتجلى في مظاهر عدة بينها:

تفشي البطالة وندرة فرص العمل خاصة بين الشباب وبالذات أصحاب المؤهلات الأكاديمية مما يؤكد فشل الخطط والبرامج التي تعلن عنها الجهات التنفيذية.

فشل خطط التدريب المعاد تسويقها بنسخ متعددة بين فترة وأخرى رغم ما ينفق عليها من أموال من دون أن يكون لها أثر في تصحيح الواقع المعاش.

تآكل الأجور والمعاشات التقاعدية بفعل موجات ارتفاع الأسعار وغياب الحد الأدنى للأجور المرتبط بمستوى معيشي لائق ومما زاد فيه توقيف الزيادة السنوية للمتقاعدين.

استمرار الشكاوي من حالات التأخر في دفع المستحقات العمالية في مواعيدها خاصة الأجور وأجور العمل الاضافي في العديد من شركات ومؤسسات القطاع الخاص بينها شركات حكومية.

تفتت وتآكل العمل النقابي لدرجة تغييب دور الهياكل العمالية وضعفها مما نتج عن ذلك عدم قدرتها على القيام بواجباته في الدفاع عن حقوق ومكتسبات منتسبيها عدى عن عموم عمال وكادحي البحرين كما هو مفترض.

غياب الحوار الاجتماعي على جميع المستويات (في المؤسسات والشركات أو على مستوى القطاعات المهنية وكذلك على المستوى الوطني) مما أفقد العمل النقابي أهم ركائزه.

مؤكداً أن «هذه المصاعب والتحديات وسواها لم تنتج من فراغ وإنما هى حصيلة سياسات اجتماعية واقتصادية وتوجهات شملت تعديلات تشريعية انتقصت العديد من الحقوق العمالية وقيدتها أو افرغتها من مضمونها، منها ما حصل من تعديلات مجحفة في قانون العمل رقم 36 لسنة 2012 وما تبعه من تعديلات في قوانين التقاعد».

تصحيح العمل النقابي

وطالب التقدمي في بيانه «بتصحيح بوصلة العمل النقابي بدءاً من استعادة وحدته والتأكيد على ديمقراطية العمل النقابي وإستقلاليته وذلك بتغليب المصلحة العمالية لمواجهة هذه التحديات والمصاعب والتي بدون هذه الركائز يستحيل على الحركة العمالية بهياكل نقابية واتحادات متفرقة تأكلها الخلافات والصراعات أن تتقدم خطوة في سبيل المحافظة على المكاسب العمالية التي هى في طور الانتقاص منها فما بالك تحقيق مكاسب أكبر».

ودعا كذلك إلى «أهمية مراجعة القوانين والتشريعات التي تم فيها الانتقاص من حقوق العمال والمتقاعدين مثل قوانين العمل والتقاعد والنقابات ومسؤولية أعضاء السلطة التشريعية بالإضافة إلى التنفيذية في هذا الجانب، ومراجعة السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي أنتجت هذه المصاعب والتحديات المذكورة أعلاه خاصة في سياسات رفع الحماية عن العمالة وفتح الباب على مصراعيه للعمالة الوافدة وما تبعها من قرارات منها الفيزا المرنة والفيزا السياحية وغيرها والتي لم تقتصر مخاطرها على ندرة توفر فرص عمل للباحثين عن عمل من المواطنين البحرينين بل تعدّاها إلى جوانب أخرى خطيرة على أمن وسلامة المجتمع البحريني».

تحية للشغيلة في فلسطين

وبهذه المناسبة نستذكر الشغيلة والعاملين في الأراضي المحتلة ونضالهم الدؤوب نحو التحرير من نير الاحتلال الصهيوني، يواجه فيه الشعب الفلسطيني وفي طليعتهم الطبقات الفقيرة والكادحة نضال مزدوج من أجل التحرير من الاحتلال الغاشم ونيل الحرية من جانب، ومن الجانب الآخر النضال نحو تحسين ظروف الحياة المعيشية وتحقيق مكاسب تنتشلهم من واقع الفقر المدقع والاستغلال البشع لتجار الأزمات والحروب.

عيد الطبقة العاملة

الأول من مايو في البُعدين الوطني والأممي

الشائع أن فكرة إحياء يوم العمال العالمي بدأت، أول ما بدأت، في مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٨٨٦، إحياءً لإضراب عمال المصانع فيها مطالبين بتحسين ظروف عملهم، وقصر ساعات العمل على ثمانٍ في اليوم الواحد، لكن مقالة نادرة لروزا لوكسمبورغ تذهب إلى أنّ استخدام احتفالية العمال وسيلة للحصول على يوم عمل ذي ثماني ساعات وُلدت أولاً في أستراليا، وقبل ذلك بنحو ثلاثة عقود، إذ قرر العمال هناك سنة ١٨٥٦ تنظيم يوم للتوقف الكامل عن العمل مصحوب باجتماعات وأنشطة.

د. حسن مدن

إحياء عيد العمال في البحرين تقليد راسخ، بدأ منذ الخمسينيات، مع ظهور بواكير الفكر اليساري ونواة الطبقة العاملة الحديثة

أيّاً كان الأمر، بات عمال العالم يحيّون هذا اليوم، حيث تخطى الاحتفال به النطاق الوطني الخاص ببلد أو مجموعة بلدان، ليصبح يوماً عالمياً، بل إنه غدا عطلة رسمية في الكثير من بلدان العالم، ومناسبة لإعادة التأكيد على دور العمّال المحوري في الاقتصاد الوطني لبلدانهم من جهة، وللعمل في سبيل نيل حقوقهم في أجور أفضل وظروف عمل أكثر ملاءمة وضمانات اجتماعية أوسع لهم ولعائلاتهم من جهة أخرى. وتغدو الاحتفالات بهذا اليوم حدثاً مهماً تغطيه شبكات التلفزة والصحافة في العالم.

إحياء عيد العمال في البحرين تقليد راسخ، بدأ منذ الخمسينيات، مع ظهور بواكير الفكر اليساري ونواة الطبقة العاملة الحديثة، وفي علينا،يشهد عالم اليوم تحوّلات كبيرة حدثت في بنية الطبقة العاملة، وأيضاً في مساحة ما نالته من حقوق بفضل كفاحها ومثابرتها. ومن تلك التغيرات البنيوية تقلص حجم العمالة اليدوية، خاصة في البلدان المتقدمة والأكثر نمواً، بالقياس لما كانت عليه في القرنين الماضيين، والحديث يدور اليوم عن المجتمع ما بعد الصناعي، خاصة مع تزايد حصة ما يطلق عليه الاقتصاد الرقمي في بنية الاقتصادات وتحوّل قطاع الخدمات إلى قطاع فاعل ومؤثر وربما أكثر حضوراً من القطاعات الأخرى وفي ظل تزاوج الجوانب الإنتاجية وغير الإنتاجية في هذا القطاع.

بل إن نقاشاً يدور في أوساط الباحثين والناشطين حول ضرورة بلورة تعريف أو مفهوم جديد للطبقة العاملة يأخذ بعين الاعتبار التحوّلات الحاسمة في الاصطفافات الطبقية والاجتماعية في عالم اليوم، لكن قضايا العدالة الاجتماعية والحقوق النقابية والمشاركة الإنتاجية تبقى ثابتة، وحتى وإن تمظهرت في صور أو صيغ جديدة، من أجل أن تكون الحياة على هذا الكوكب أكثر إنسانية وتسامحاً ونبلاً، بديلاً لما لحق به من عنف وعسف وخراب.

وباعثٌ على الألم والأسى أن تمرّ مثل هذه المناسبة التي تحمل، إضافة إلى مضامينها الاجتماعية، طابعاً احتفالياً وتكريمياً، على عالمنا العربي وهو يغرق في حمامات الدم في مواضع عدة، فهاهي غزّة الأبيّة تدّمر ويقتل أهلها من نساء ورجال وأطفال، ويهجرون من بيوتهم ومناطق سكنهم إلى حوّلها القصف الصهيوني الهمجي إلى ركام ورماد، فلم يعد العمال في مصانعهم وورشهم، بل إن الدمار طال، فيما طال، حتى هذه المصانع بفعل الحروب الضروس الجارية في أكثر من بلد عربي، وانهارت الأوضاع المعيشية للملايين من الناس في البلدان المنكوبة، وباتوا يعيشون على الإعانات التي لا تصلهم، هذا إن وصلت، إلا بشقّ الأنفس، وأدى ارتداد الأزمات التي تعصف بالكثير من بلداننا، المبتلاة بالاحتلالات والتدخلات الأجنبية فيها، أو تعيش ظروف الاقتتال والاحتراب الأهلي، إلى انهيار الدولة أو ضعفها وتراخي سيادتها على أراضيها، وتدمير الاقتصاد الوطني، وتحلل الطبقات الوسطى وانهيارها، وإغلاق المصانع والورش ومؤسسات كانت تستوعب الآلاف من العمال الذين وجدوا أنفسهم مشردين عن مدنهم وقراهم، ما يجعل الحديث عن إحياء هذه المناسبة ترفاً أمام أولوية استعادة الأمن والاستقرار .

أنهت القائدة العمالية الأممية، روزا لوكسمبورغ مقالها الذي أشرنا إليه في المقدمة حول الأول من مايو بالقول: «حين يطل فجر أيام أفضل، حين تبلغ الطبقة العاملة العالمية غاياتها، فآنذاك أيضاً، قد يجري الاحتفال بالأول من مايو/أيار على شرف النضال المرير، وعذابات الماضي الكثيرة.»

هذه كانت نبوءة، ولكن نبوءة القلوب العظيمة تتحقق بكل دقة وجلال كما يقول المفكر الفرنسي أناتول فرانس. صحيح أنّ عمال العالم لم يحققوا كلّ ما كانوا يطمحون إليه، حين انبثقت فكرة الاحتفال بيوم للعمال، يؤكدون فيه على حقوقهم ومطالبهم، لكنهم حققوا الكثير من المكتسبات على هذا الطريق، سواء على صعيد التشريعات المنظمة للعلاقة بين العمال وأصحاب العمل، أو على صعيد الأوضاع الفعلية للعمال، مقارنة بما كان عليه الحال قبل قرن وأكثر.

روزا لوكسمبورغ

المناضل أحمد الذوادي يتقدم مسيرة أول مايو ٢٠٠٢

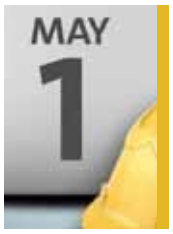

الأول من مايو والمستجدات

مرّ علينا شهر أبريل الشهر الذي اعتدنا أن نطلق فيه (كذبة أبريل) مازحين، باختلاق حدث كاذب لأجل الدعابة الفكاهية، أما اليوم لا نستطيع أن نجد كذبة للمزاح، فلا يمكن أن نُسمي قصف جنوب لبنان لشمال إسرائيل كذبة، ولا نستطيع أن نسمي قصف صواريخ القوات اليمنية لبارجات أمريكا وبريطانيا بدّقة كذبة، فصواريخهم طالت إسرائيل مستهدفة أهدافاً دقيقة، واليوم لم يعد مجلس الأمن يحذّر كوريا الشمالية بشأن تجربة إطلاق صواريخه، وأن الازمة المالية وانهيار القوة الأمريكية في العالم أصبحت حقيقة.

قاسم الحلال

اليوم لم تعد الشعوب تخاف سلاطينها، حيث تستعرض كل مظالمها بوضوح غير مبالية، وقريباً ستسير مواكب ومسيرات أعيادها وسط الشوارع متباهية بانتصاراتها، في يوم لن تضرب البرجوازية (إصبعاً) افتخاراً بانتصاراتها المعهودة والتفافها على العمال وجموع الكادحين وستعود مكاسبنا ومنجزاتنا مهما طال الزمن رغم أننا نعيش وضعاً قاسياً بلغ فيه ذروة النهب بسبق الإصرار والترصد المعلن لأكثر من عشرين عاماً. نحن اليوم ليس وحدنا من سُرقت حقوقهم فقد سُرق آباؤنا من قبل رغم اختلاف سبل النهب من زمن لآخر، فالذي تغيّر هو آلية وسبل الدفاع والنضال لانتزاع الحقوق، حيث أصبح في متناولنا اليوم كل الآليات والسبل: اقتصادية وتقنية، وأصبحت لدينا القدرة في توظيف تقنية المعلومات والمفاهيم الهندسية والفلسفية والحسابية، حيث تمكنا من إدارة الصراع بوعي جعلكم تهربون من وسط هذا المعترك الذي تفوقنا فيه، من هنا وضعتم اساليب غير شرعية لإيجاد فرصة للتهرب، وبعد أن عجزتم أصبح نهجكم على المكشوف.

لقد عاش أجدادنا حقباً قاسية من الاضطهاد والنهب، حيث تفنن الاستعمار آنذاك مستغلاً عدم وجود قوى نضالية بالمعنى الذي يعيشه شعبنا اليوم، فرغم فداحة النهب بلا رقيب، حيث المستعمر ذاته هو الرقيب وهو القاضي والجلاد، أي أنه الآمر الناهي كونه مستعمراً للوطن والمواطن، بيده الحل والربط، فمن أساليب وآليات المستعمر التركيز على التفرقة بين الطائفتين الكريمتين وبث سموم الطائفية والنعرات القومية بين العرب والعجم ليحكم سيطرته الموارد الاقتصادية ويشغل الشعب ليدفعه لصراع هو غنى عنه، وفي وقت تدفع فيه قوى الخير للنضال لأجل وطن متقدم واعٍ تحارب فيه خطط المستعمر الهادفة لتكريس التخلف لكي تنفرد بالعبث بثروات واقتصاد الوطن.

تسعى فئة من الأنانيين والانتهازيين والتعصب الظلامي في الانسياق وراء المخططات الاستعمارية البغيضة، حيث توظف مساعي الإصلاح والارتقاء في دائرة ضيقة اعتقاداً منها أن هذا يخدم ما تدعو إليه، لكنها بالعكس تسعى لتجهيل المجتمع، سواء كان هذا السلوك بقصد أم بغير قصد، حيث تسّير المجتمع طمعاً في استقطاب جماهير نحو مبادئها دون الالتفات للنسيج الاجتماعي العام لأجل التقدم ونشر الوعي لعموم الشعب. من هنا أصبح الصراع كسيحاً أثّر على المسيرة النضالية المنشودة وحرفها عن جادة الطريق وخلق فجوة بين القوى الوطنية الجادة الساعية للتنمية والازدهار والتطور الاجتماعي والقوى التي ارتأت ربط عجلة المذهبية رهناً بعجلة الإصلاح.

لقد نبهنا ولا زلنا نواصل التنبيه من الخطر الداهم (الطائفية) التي أصبحت اليوم خطراً ماثلاً بلا خجل حتى تخطى المنابر ليتسوّر المهرجانات والمحافل الرياضية.

في العام 2008 أطلق المنبر التقدمي برئاسة أمينه العام آنذاك الدكتور الرفيق حسن مدن، دعوة للحوار الوطني، على خلفية الوضع السياسي المتأزم المهدد بتدهور ومنحنى خطير، حيث نوّه مدن إلى ضرورة اللجوء لحوار سواء بين الدولة والقوى السياسية والمجتمعية المختلفة، وكذلك عبر الصحافة ووسائل الإعلام او عبر المنتديات، كما أشاد بالدعوات المخلصة في مواجهة مخاطر الفتنة الطائفية وحشد كل الجهود لتعبئة جميع القوى الفاعلة في مجتمعنا، حيث انتشار وتوسع الطائفية بصورة مبالغ فيها في وضعنا الراهن الخطير.

ولأن الطائفية آفة تؤزم وضعنا كلما انتشرت وازدادت اتساعاً، نحتاج إلى أصوات تنبه بخطورتها ونشرها وبث سمومها وسط مجتمعنا، ولتكن محافل وأنشطة عيد العمال العالمي، في الأول من مايو، خير منبر للقيام بهذا الدور.

مطرقة البرلمان

الإفراجات فرصة لتحقيق إصلاحات شاملة

مبادرة مهمّة تلك التي أمرت بها قيادة البلاد ممثلة في جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة بالافراج عن عدد غير مسبوق من السجناء والموقوفين على خلفيات أحكام مختلفة، بينهم ما يربو على ٦٠٠ مواطن محكومين جنائياً على خلفيات وتبعات الأحداث التي مرّت بها بلادنا منذ سنوات، بعضهم من ذوي أحكام المدد الطويلة. تلك المبادرة الهامة وذات المغزى استطاعت وفي غضون فترة وجيزة ان تنشر الفرح والاطمئنان والأمل في مختلف قرى ومدن البحرين، وفي نفوس العديد من الأسر البحرينية التي انتظرت طويلا خروج ابنائها ومُعيليها إلى حيث الحرية ولمّ الشمل.

والجميل انها تزامنت مع موعد احتفالات البحرين والعالم الاسلامي بعيد الفطر المبارك. كذلك تزامن الاعلان عن مبادرة الافراج هذه مع خطوة هامة اخرى اعلنت عنها الحكومة برئاسة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء تمثلت في توجيهاته لوزارة العمل والجهات المعنية بتسجيل من أفرج عنهم ضمن برنامج التعطل وصرف مكافآت التعطل لهم، مع اعطاءهم فرص للتدريب والعمل للاعتماد على انفسهم واعالة اسرهم، وهي خطوة نثمنها عاليا في ظل صعوبة الاوضاع المعيشية المعاشة، نظرا لما قدمته من جرعات امل وتفاؤل لكل من تم الافراج عنهم.

لا شكّ أن هذه الخطوات تفتح المجال واسعا لخلق حالة إيجابية مرجوّة من الانسجام والثقة لدى الجميع للخروج من حالة التأزم والقنوط التي القت بثقلها على كواهل الجميع، حيث جاءت لتبعث دفقا جديدا في واقعنا الاجتماعي والسياسي الذي ظلّ في حالة مراوحة لفترات طالت كثيراً، حتى كدنا أن نفقد قدرتنا على التحمل أحايين كثيرة. لقد سبقت تلك الخطوات دعوات ومناشدات وجهود في السرّ والعلن كلها كانت تنشد تحقيق ولو انفراجة بسيطة في جدار الصمت والحيرة والخوف لما يخبئه المستقبل من تداعيات على المستوى المحلي وما ينفخ في تلك الحالة من تداعيات اقليمية وعالمية وما يصاحبها من تداخلات وتدخلات كم ارهقتنا وارقتنا!

لقد عملت العديد من القوى السياسية والحقوقية ومؤسسات المجتمع المدني ومعهم شخصيات سياسية وبرلمانية لسنوات للوصول لمثل تلك اللحظة التي تركت هذا الثر الإيجابي المهم في نسيجنا الوطني، واسكتت دعاة الفرقة والانقسام ولو الى حين! عندما تداعت احتفالات الافراج عن ابناء الوطن وعودتهم إلى أحضان ذويهم ومحبيهم، مؤملين أن تنسحب حالة الارتياح العام هذه على كامل المشهد البحريني اجتماعياً وسياسياً وحتى معيشياً في القادم من الايام والشهور.

وهذا ما دعا اليه بالتحديد بيان منبرنا التقدمي عندما طالب بحلحلة لمجمل الأوضاع في البحرين ولفتح صفحة جديدة من الحوار الوطني من شأنها أن تقود لخلق واقع اكثر إيجابية، وتبييض تام للسجون وعودة المبعدين وخلق مصالحة وطنية تعزيزاً لدولة القانون والمؤسسات، ولتبعث أملاً واعداً لكل مكوّناتنا الوطنية، وتزيد من تلاحمنا الوطني وتعيد الوجه المشرق الوضاء المتسامح لبلادنا ولشعبنا الذي يتطلع لمزيد من الاستقرار والبناء، وأن ينعم بخيرات بلاده في ظلّ عدالة اجتماعية منتظرة تقودها برامج تنمية شاملة وإصلاح حقيقي على أكثر من صعيد، كما بشرنا بذلك ميثاق العمل الوطني منذ أكثر من عقدين من الزمن.

عبد النبي سلمان

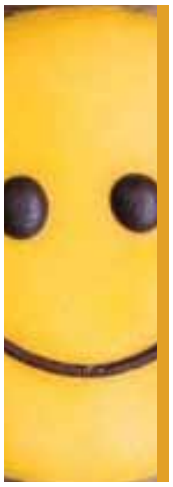

حول تصنيفنا في قائمة أكثر الشعوب سعادة

عن أصحاب السعادة وأهل البؤس

السعادة لا يمكن قياسها بالمهرجانات أو الشعارات ومبالغات الكلام

هل الناس سعداء حقاً رغم الظروف الصعبة والمنغصات التي تُحيط بهم من كل جانب؟

عن السعادة نتحدث .. هناك من قال إن للسعادة معنىً مراوغاً لا يمكن الإمساك به .. ! وهناك من قال إن البحث عن السعادة أحد مصادر عدم الشعور بالسعادة. وهناك من قال إن السعادة والتفاؤل أمور موروثة وعليه لا ذنب إذن على التعساء والمتشائمين، فقد ولدوا هكذا..!، وهناك من قال إنه من الوهم الاعتقاد أننا سعداء، وأنّ السعادة الحقيقية هى ذلك الشعور بالأمن والحرية والكرامة وحقوق الانسان والمساواة وتكافؤ الفرص وتحقيق العدالة الاجتماعية، ولا تشعرنا لا بالبؤس، ولا بأوضاع مقلوبة او حياة معاقة.

خليل يوسف

السعادة لا يمكن قياسها بالمهرجانات أو الشعارات ومبالغات الكلام، وكل أشكال ومحاولات تجميل الواقع، وكما قال نجيب محفوظ "لا سعادة بلا كرامة .. هى حقّ من حقوق الإنسان التى لاجدال فيها"!

ليس من المفاجئ وجود الكثير مما قيل ويمكن قوله فى موضوع السعادة، وأصحابها وبواعثها، كما يمكن إثارة كمّ من الأسئلة والتساؤلات حول ما إذا كان الناس فى مجتمعاتنا سعداء حقاً وفعلاً، رغم الظروف الصعبة والمنغصات التى تحيط بهم من كل جانب، واتساع مساحات ما يبعث على البؤس فى النفوس، وازدياد أعداد البائسين الذين يجدون من يحرص على عدم إشغالهم بما يحقق لهم السعادة ولا همّ لهم إلا تحقيق السعادة نيابةً عنهم، والأسوأ والأخطر حين نجد أنّ هناك من يأخذ بدل أتعاب من حساب سعادة الشعوب ومن حساب الأوطان، ألا يجعل ذلك الحديث عن السعادة فى مثل هذه الأوضاع أمراً مستفزاً بكل معنى الكل.

نتحدث عن السعادة على وقع المفاجأة المدهشة التى وجدت كثيراً من الناس وهم يطرحون جملة من التساؤلات المثيرة حول دقتها وصحتها، والمتمثلة فى تصنيف شعب البحرين فى قائمة اكثر شعوب العالم فى السعادة على المستويين العربي والعالمى، فى الوقت الذى نلمس ونشاهد ونتابع على وسائل

التواصل الاجتماعي وما يثار فى المجالس الشعبية وأحياناً فى الصحافة المحلية ما يناقض تلك الخلاصة، لا نلمس سوى اتساع مساحة النكد والشكوى والتذمر من أوضاعنا على كل الصعد.

من الثابت والمؤكد ودون عناء فى التحليل أننا نحتاج إلى السعادة بكل تجلياتها، نحتاج إلى ذلك بإلحاح ومنذ زمن، وانتظرنا ولازلنا ننتظر ما يمهد لها وينقلها من حال التعطيل إلى استئناف حركتها الطبيعية لدينا في مختلف الحقول وعلى كل الصعد والمستويات بعيداً عن الشعارات الفارغة من أي مضمون، وهذا ملف يجب أن نوليه الجديّة الكافية التى نحن بحاجة إليها من سائر الوجوه لبلوغ ما يرسي القواعد الأساسية التى تقوم عليها السعادة ويجعل مسبباتها حقائق ووقائع تتراكم في واقعنا، وتجعلنا نعتني بحفظها بعناية دائمة بعيداً عن كل ما يحشرنا فى ما يناقض مفهوم السعادة ويثير أي قدر من القلق فى نفوسنا، كي لا يصبح الأمر مضحكاً حتى البكاء ومريراً حتى الضحك.

نتحدث عن السعادة بمناسبة ما خرج به مؤشر السعادة العالمى الذى جعل شعب البحرين فى مقدمة أسعد شعوب العالم عربياً وعالمياً، وهو المؤشر الذى اطلق فى اليوم العالمى للسعادة الذى يصادف 20 مارس من كل عام ويتزامن معه الإعلان عن نتائج ذلك المؤشر، المناسبة المذكورة تهدف إلى الاحتفال بالسعادة فى جميع أنحاء العالم وإلهام الناس بما ينشر الإيجابية سواء كانت كبيرة او صغيرة، وتشجيع كل أمة على إعطاء الأولوية لإسعاد مواطنيها.

البحرين حلّت فى المرتبة الثالثة عربياً و62 عالمياً فى ترتيب الدول الأكثر سعادة على ذمّة مؤشر السعادة العالمى، وهو المؤشر الذى شمل 143 دولة وأطلق فى اليوم العالمى للسعادة، ذلك جعلنا نسأل أنفسنا: هل نحن حقاً بتلك الدرجة المتقدمة من السعادة ؟، وطرحنا السؤال بصيغة اخرى: هل ثمّة من يشرح لنا "سر الخلطة" التى جعلتنا من ضمن أسعد شعوب الأرض؟، وهو سؤال تفادياً لأي "التباسات" أو تأويلات "مغرضة"، وأترك لكم الإجابة عليه !

مناسبة هذا العام جاءت فى وقت يشهد فيه العالم معاناة متعددة الأوجه تتعاظم فى ظل ما نشهده من عدوان همجي على الشعب الفلسطيني فى غزّة جعل أهلها يواجهون شتى صنوف القتل والإبادة والتهجير والانحدار الأعنف نحو كل ما يعادي الإنسانية بأبشع الأنواع والألوان والمستويات مما أوصلنا إلى نقطة مفصلية، وهى سقوط كل المقاييس الأخلاقية والإنسانية وحلول فوضى رهيبة دفنت تحت أنقاضها كل معانى السعادة والشعور بها حتى وان كان شكلياً ليس فى أوساط الشعب الفلسطيني فحسب، فى أوساط كل الشعوب الحية التى أدانت واستنكرت وتظاهرت ورفضت كل تلك الوحشية التى يمارسها الكيان المحتل ضد الشعب الفلسطينى.

وللتسهيل على من يحاول الإجابة أقول إن الأمم المتحدة في تعريف لها وجدت أن مفهوم السعادة يرتبط أولاً واخيراً بمدى رضا الشخص عن حياته .. وتقريرها عن السعادة استند على ما حققته الدول فى ستة مؤشرات هى: الدخل، الصحة، التمتع بحرية اتخاذ قرارات أساسية فى شؤون الحياة، الوضع المجتمعي، ووجود من يمكن الاعتماد عليهم عند الملمات، كما ارتكز على استطلاعات رأي نضع جانباً الدقة او الصدقية المنسوبة اليها والتى يمكن أن يطلق العنان لأوسع نقاش حولها، وعليه فإن المفهوم العام للسعادة هو "مدى رضا الشخص عن حياته" من خلال أطر السياسات العامة للدول فى مجالات التنمية المستدامة، والرفاهية المادية والاجتماعية، والقضاء على الفقر، وسلامة الفرد والبيئة، والناتج المحلي الإجمالي للفرد، والدعم الاجتماعي، ومتوسط العمر المتوقع الصحي، والحرية فى اتخاذ قرارات الحياة الخاصة للمواطن، وتصورات حول مستويات الفساد، والمساواة القانونية لجميع قطاعات المجتمع، والقضاء على كل أشكال الاضطهاد، والتعليم المجاني، وتحقيق معادلة فرص الرفاه الاقتصادى لجميع المواطنين وعدم وجود ما يكدر صفو حياتهم، وبالإضافة إلى ذلك لا ننسى أن حيوية المجتمع المدنى جاءت من ضمن الركائز فى مسببات السعادة، وأعتقد أننا جميعاً أدرى بحال هذا المجتمع، وبمؤسسات هذا المجتمع.

وللعلم فإن مناسبة اليوم العالمى للسعادة جاءت بمبادرة من بلد هو الأول فى العالم الذى يعتمد مؤشر السعادة الوطنية ويعترف بسيادة هذه السعادة على الدخل القومي منذ اوائل السبعينات، وأن شعبها المكوّن من 750 الف موطن اعتبر من أسعد الشعوب، والأسباب – وعلينا المقارنة – السياسات الحكومية المبتكرة التى تعتمد على قياس مكونات السعادة المنشودة، من خلال الحكم الرشيد، ومستوى الصحة البدنية والنفسية، والتعليم، وحيوية المجتمع، وحماية الأرض والمحميات الطبيعية، بما يخدم هدف التنمية المستدامة التى لا ترتبط فقط بالمؤشرات الاقتصادية، ويضاف إلى ذلك فلسفتها الشعبية القائمة على التفكير فى الموت، وهى الفلسفة التى قالت عنها ليندا كينغ مؤلفة كتاب "دليل ميداني للوصول إلى السعادة" "إن هذه الفلسفة لا تجعلها مكتئبة، وتدفع إلى اغتنام كل فرصة تحقق الرضا عن الذات والعنفوان ومن ثم السعادة"، هذا هو حال مملكة "بوتان" التى تقع فى الطرف الشرقي من جبال الهيمالايا.

يا ترى طالما قد صُنفنا فى صدارة أسعد شعوب العالم فان السؤال هل نمتلك شيئاً بسيطاً من تلك المقومات التى جعلت شعب بوتان يمتلك ذلك القدر من السعادة، أو فنلندا التى صنفت باستمرار فى تقارير السعادة العالمية على أنها أسعد دولة فى العالم، هل نمتلك شيئاً من تلك الأسس التى جعلتنا فى صدارة الشعوب أو حتى من ضمن الدول الأكثر سعادة؟

يمكننا أن نضيف إلى ذلك ونربط هذا بذاك، ونثير تساؤلات حول دقّة ما تخرج بها الكثير من المؤشرات والتقارير والاستبيانات، ونتوقف تحديداً عند تلك الخلاصة حين بُشرنا بأن شعب البحرين هو من أقل الشعوب عرضة للاضطرابات النفسية والعقلية، أليس ذلك ما خرج به مؤتمر عقد فى البحرين عن بعد فى نوفمبر 2021 تحت عنوان "الصحة النفسية خلال وما بعد جائحة كوفيد – 19"، ولعل ربط ذلك بما جاء به مؤشر السعادة، وبأننا من أقلّ الشعب شعوراً بالحزن والتوتر، فإن ذلك يعنى أننا غارقون حقاً وفعلاً فى الإنبساط والانشراح والسعادة بامتياز، ونعيش مشاعر إيجابية دائمة وبمنأى عن ما ينغص علينا حياتنا، وبعيدين عن كل بواعث الحزن والتوتر، وإننا بشكل ثابت وملموس من أسعد شعوب العالم فى كل شيْ، وأقلهم توتراً، وأقلّهم عرضة للاضطرابات، ومن يقول غير ذلك فهو حاقد ومغرض وصاحب أهداف مريبة.

يمكننا أن نضيف كذاك وفى نفس السياق بقائمة نشرت قبل سنوات قليلة حول أكثر شعوب العالم شعوراً بالحزن والتوتر بمشاركة 175 الف مشارك من 145 دولة، ومن ضمن خلاصات هذه القائمة أنّ 3 دول عربية جاءت فى صدارة أكثر 10 شعوب شعوراً بالتوتر والحزن على الصعيد العالمى ولم يأت لامن قريب ولا من بعيد على ذكر البحرينيين مما قد يعنى أن البحرينيين يخلون من أية مشاعر سلبية، لا نقلق، ولا نتوتر، ولا نتألم نفسياً، ولا نعانى الفقر، ولا الفساد، ولا البطالة، ولا أوضاع معيشية صعبة، ونعيش و"لله الحمد والمنّة" مشاعر ايجابية دائمة وان كل ما نعايشه مثير لقدر كبير من الفرح والسعادة وعدم التوتر والاضطرابات النفسية.

هل يمكن ان نصدق ونعتمد ونثق فى مثل تلك المؤشرات والكثير من الاستطلاعات والاستبيانات حول الكثير من الشؤون والتى نجد مخرجاتها أبعد ما تكون عن واقع الحال، ليس أمامنا إلا ان نقول: أعان الله الشعوب التى لا تعرف إلا المعاناة مما ينكّد عيشها من بؤس وشقاء وتوتر وقلق، وفرّج عنهم وأبعدهم عنهم كل المشاعر السلبية والأمراض النفسية، كما نقول بالنسبة إلى من يبشروننا دوماً بأننا فى صدارة أسعد شعوب الأرض، وبأن أحوال المواطن بأفضل ما يكون، لهؤلاء ولأصحاب الشعارات والعناوين البراقة، نقول: هاتوا برهانكم على أننا حقاً وفعلاً من أسعد شعوب العالم، وبأن وضع المواطن ودون مراوغة بأفضل ما يكون وبأنه حقاً وفعلاً فى قمة الاهتمامات.

الذكاء الاصطناعي والحقوق العمالية

كريم رضي

ها أنا أخرج كل صباح مع زوجتي إلى ممشى توبلي للمشي على ساحل خليج توبلي حيث جعلتُ ذلك طقساً يومياً بعد صلاة الفجر منذ التقاعد. وها أنا أرى هذا المشهد اليومي الذي يتكرر بنفس الرتابة وبنفس الأشخاص حيث في الفلل التي تبنى بقرب الساحل وبرغم أنها تبدو من التصميم الخارجي – على الأقل – أنها فلل ستكون على أحدث نظُم تقسيم البيوت وتوزيع الغرف والمرافق، لكنها – وهنا المفارقة – تُبنى بأكثر طرُق البناء بدائية وتخلفا. فها هما العاملان البنغاليان نفسيهما يرفعان مواد البناء على بكرة بدائية فيقوم الذي في الأسفل بسحب الحبل أو السلك المثبت بالجردل أو السطل إلى آخر مدى مما يضطرني للتوقف أو للمرور بسرعة بسيارتي ولكن بحذر لكي لا أصدمه أو أعطل حركته.

ثم يقوم بعد ذلك العامل الذي في الأعلى بسحب السلك أو الحبل رافعا مواد البناء إلى الأعلى في عملية لا أعرف كم مرة تتكرر في اليوم.
كل ذلك وكما يقول البحرينيون – الشيء بالشيء يُذكر – يذكرني بما قرأناه ولم نرهُ رأي العين بالسيب والغيص في فترة الغوص. فالغيص ينزل بالحبل مع الثقل الذي يجعل نزوله سريعا ثم بعد ثوان يقوم السيب بسحب الغيص بالحبل إلى خارج الماء عندما يكون الغيص قد عبأ السطل أو الجردل بالمحار الذي اصطاده ليفلقه على سطح السفينة ولعله يكون مليئا باللآلئ أو لعله فاسد لا شيء فيه.
ثم ها أنا بعد الضحى في منطقة حديثة مثل السيف أو غيرها أنظر من نافذة المقهى إلى أحدث المباني وهي تُشيّد بأحدث الأساليب حيث لا حبل ولا جردل ولا ساحب ولا مسحوب. ما أراه هو مصعد يرفع العمال ومواد البناء على منصات متحركة عموديا آمنة من الخطر. وهنا تلتقي الطريقة والنتيجة فكلاهما حديث ومتطور، البناء والمبنى. تماما بعكس التناقض الذي وجدته في فلل توبلي حيث النتيجة متطورة والطريقة متخلفة. الفللُ حديثة تنتمي للقرن 21 والطريقة بدائية تنتمي للعصور الوسطى أو ما قبلها.
أنظر من بعيد إلى أقدام العمال هنا في السيف وأياديهم فأرى أحذية السلامة المتينة وقفازات الأيدي المعتمدة وقبعات الرأس اللامعة وأحزمة السطوح العالية، والأجسام المغطاة ببدلة موحدة جميلة بلونها العمالي الأزرق تذكرني بلباسي في المدرسة الصناعية الثانوية ثم في مصنع الحديد والصلب حيث عملتُ منذ 1984 – 2020، كلها وفق أحدث معايير السلامة، وأنظر هناك إلى أسمال العمال في مباني توبلي فلا أرى إلا أحذية متهالكة إن لم تكن أصلا نعالا لا أحذية، وأرى أيديهم بلا قفازات بل تكاد تبدو متشققة بلمس الحديد والإسمنت والكونكريت ورؤوسهم بلا قبعات. وهنا أتساءل أين إذن أضع هؤلاء في مبادرات منظمة العمل الدولية التالية:
إعلان فيلاديفيا لمباديء وأهداف منظمة العمل الدولية – 1944
إعلان المبادئ للحقوق الأساسية في العمل – 1998
تدشين مفهوم العمل اللائق – 1999
إعلان العدالة الاجتماعية 2008

مبادرة مستقبل العمل – 2015
الميثاق العالمي للمهاجرين GCM 2018
تحديات العمل مع الذكاء الاصطناعي (AI) 2020 فلاحقا

لقد كان من ضمن الأسئلة التي طرحها علينا أحد أساتذة الدورات النقابية، لماذا تعتقدون أهمية وجود معايير عالمية موحدة للعمل؟ وكان جوابه على سؤاله، السبب هو لكيلا يكون اختلاف بيئات العمل سببا لاختلاف معايير العمل. أي لكي تكون أضعف بيئات العمل وأقلها إمكانية سواء بسواء مع أرقاها حين يتعلق الأمر بحقوق العامل في الأجر والحماية الاجتماعية والسلامة المهنية.
هل هذا ممكن حقا؟ هل هذا حُلم أم حقيقة؟
أن نضمن معايير للسلامة والصحة المهنية والعمل اللائق والأجر العادل في ورشة منسية لتقطيع الحديد أو الخشب في سلماباد أو لتصليح الدراجات في توبلي فيها عمال بعدد الأصابع كما نضمن هذه المعايير في أكبر شركة مثل ألبا أو بابكو؟؟ وإن لم يكن ذلك ممكنا فما قيمة معايير يُستثنى منها الأضعف والأشد حاجة إليها، حيث هناك تناسب عكسي بين ظروف العمل و الحاجة إلى معايير العمل، فكلما انخفض مستوى ظروف العمل زادت الحاجة إلى معايير العمل.
ليس الذكاء الاصطناعي (AI) جديدا و لا تأثير الأتمتة على العمال يحدث لأول مرة.
في هذا العام 2024 وقبل أن ننسى نحتفي بمرور 70 عاما على تأسيس أول اتحاد للعمال في البحرين هو (اتحاد العمل البحراني BLF) في عام 1954، ومرور 20 عاما على تأسيس ثاني اتحاد للعمال في العصر الحديث هو الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين GFBTU حيث تأسس في 2004. أما في العام القادم 2025 وهنا محل الشاهد فنحتفي بمرور 60 عاما على انتفاضة 1965 العمالية وهي التي جاءت على إثر تسريح مئات العمال من شركة تكرير النفط بسبب إدخال الميكنة إلى مصنع التكرير والتي تعادل آثارها تماما ما يفعله الذكاء الاصطناعي في بيئة العمل اليوم في القرن الحادي والعشرين. لقد درسنا حتى الآن هذه الانتفاضة نضاليا لكننا نحتاج أيما حاجة لدراستها اقتصاديا وتقنيا باعتبارها اللحظة الأولى المؤسِسة في البحرين في العصر الحديث لظاهرة التناقض بين تطور وسائل الإنتاج ومستوى قوى الإنتاج وقس على ذلك وصولا إلى الذكاء الاصطناعي اليوم.
ماذا أعددنا من دراسات ومن مقاربات علمية ومهنية لعالم عمل أقل ما يقال عنه أنه مجهول ومخيف ويبشر بتسريح الآلاف لعدم الحاجة لهم في المكاتب والمصانع؟

ما قيمة معايير يُستثنى منها الأضعف والأشدّ حاجة إليها، فكلما انخفض مستوى ظروف العمل زادت الحاجة إلى معايير تضمن السلامة والعمل اللائق والأجر العادل

التناقض هنا يتصاعد أمامنا بقوة بين عالمين. عالم يغادرنا كانت فيه الخدمات مثلا بحاجة إلى عشرات الجالسين وراء مكاتبهم لتخليص معاملاتنا في وزارة أو إدارة خدمية ما، وعالم نتمكن فيه من الحصول على ما نريد online بأسهل الطرق. تناقض بين مصلحتنا كمستهلكين للخدمة أو للسلعة نحتاج إلى أن نستمتع بسرعة وسهولة الخدمة / وبين مصلحة القوى العاملة التي عليها القبول بأن تُركن إلى التقاعد الإجباري أو الاختياري. فقط خذ هذا المثل في القطاع الخدمي العمومي وطبقه على مصنع أو على مدرسة أو على مستشفى أو حيثما تشاء.
عودتنا منظمة العمل الدولية ILO على التفاؤل دائما فهي تقول دائما على العكس مما نظن، فإن التطور التقني وصولا إلى (AI) الذكاء الاصطناعي، يجب أن يقود إلى مزيد من الفرص ومن الحقوق العمالية.
في هذه الدراسة مثلا: ILO study finds AI to complement، rather than replace jobs ((bignewsnetwork.com
والتي جاءت في تقرير صدر في أغسطس 2023 يمثل منظورا عالميا حول التأثير المهني للذكاء الاصطناعي (AI) على المهن (Occupations) وعلى المهام (Tasks) بأن الذكاء الاصطناعي لن يدمّر بل سيكمّل المهن. ويقول التقرير سيكون تأثير الذكاء الاصطناعي على المهام وليس على المهن، وهناك فرق بين الإثنين. فحين نقول المهن فنحن نعني مجمل الوظيفة أما حين نقول المهام فنحن نعني أجزاء منها. ووجد التقرير أن العمل الكتابي هو الأكثر عرضة للتأثيرات بينما سيكون التأثير أقل على المهندسين والعاملين الفنيين.
وهناك أمر أيضا قد يجعلنا نحمد التخلف وهو أن تأثيره في الدول المتقدمة سيصل إلى 5.5٪ بينما لن يتجاوز 0.5٪ في الدول الأقل تقدما!! على أن التقرير يخلص إلى أن الأمر سيعتمد في نهاية الأمر على كيفية التعامل مع هذه المتغيرات.
من الممكن حسب بعض الخبراء أن يكون Chat GPT فرصة رائعة لمزيد من الازدهار في عالم العمل بشرط وجود رؤية تنظر إلى عالم عمل موحد لا تكون فيه بيئة العمل البسيطة متروكة في زوايا النسيان. من هذه الفوائد المتوقعة من الذكاء الاصطناعي ما يلي:
تعزيز الكفاءة وصنع القرار
تحديد المخاطر بدقة أكبر ومنع الحوادث
تنمية المهارات والارتقاء بها
الحد من عدم المساواة في التوظيف والترقي، فحين يكون الاختيار بدرجة آلية يقل التدخل البشري المتحيز
حماية الخصوصية والسلامة الشخصية
خلق بيئة عمل أكثر عدالة
لكن خلاصة القول إنه من المؤكد أن جميع صناع القرار في عالم العمل من حكومة وأصحاب عمل ومنظمات عمالية ونقابية في البحرين بحاجة اليوم بشكل ملح وعاجل إلى ترك خلافاتهم العبثية ووضع أجندة عمالية تعنى بعالم ما بعد Chat GPT يستجيب إلى هذا المتغيرات.
بهذه الأجندة الموحدة فقط يمكن الذهاب إلى عالم عمل جديد باستعداد لهضم مستقبل سريع التغيّر ويحمل وجوهاً متعددة من الإيجابيات والسلبيات بحسب قدرة المتعاملين معه على الفهم والتكيف.

* نقابي سابق

إلى أيّ مآل ستقودنا وصفات المؤسسات المالية الدولية؟

ليس هناك ما هو أكثر وضوحاً من تصريح كبير الاقتصاديين في وكالة الطاقة الدولية (تير فور مورغن) اثناء إنعقاد مؤتمر الطاقة الأول في البحرين، والذي نظمّه مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، كأول نشاط بعد تأسيس المركز (أمن الطاقة ٢٠١٠) بشعار «آفاق التعاون بين الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون لدول الخليج العربية»، حين قال: «إن الهدف من مؤتمر أمن الطاقة المنعقد في البحرين هو ارسال رسالة الى أصحاب القرار بدول مجلس التعاون بوقف الدعم اللا محدود للوقود ومنتجات الطاقة» (صحيفة الأيام العدد ٧٨٨٧ ١٣ نوفمبر ٢٠١٠).

فلاح هاشم

هذا التصريح وبصيغة الأمر لدول مجلس التعاون هو ما تعمل عليه جميع المؤسسات المالية الدولية، وفي مقدمتها البنك وصندوق النقد الدوليّان، وهو نهج هذه المؤسسات مع كل الدول النامية الساعية الى الحصول على قروض منها، فعلى مدى عقود ومعظم توجيهات وبرامج وخطط تلك المؤسسات تتلخص في الآتي

خصخصة الخدمات والمرافق العامة؛ والمشاريع والشركات التي تملكها الدولة.

رفع الحواجز أمام التجارة ووقف الدعم لسلع استهلاكية أساسية.

تنفيذ إجراءات تحقيق «مرونة سوق العمل» ورفع الحماية عن القوى العاملة بما ينتج عنها غياب الأمن الوظيفي.

تفكيك القيود على رأس المال الأجنبي وتحرير وتبسيط أنظمة الأسواق والتجارة المحلية.

تقليل الإعانات عن أنظمة التقاعد العامة أو تأمين البطالة وتخفيض منافعها مما يؤدي الى تخفيض المعاشات التقاعدية.

تقليص أو إلغاء أنظمة الخدمة المدنية.

برامج تقشفية مع زيادة وتنامي في حجم ونسبة الدين العام.

إذا ما تمعنّا في ما تمّ اتخاذه من اجراءات وعلى عدة صعد، نستنتج أنها تتوافق مع نصائح وبرامج وإشتراطات هذه المؤسسات، وهى مطبقة على أرض الواقع عندنا والتي تصاعدت وتيرة الانخراط فيها وبحماس في العشرين سنة الاخيرة والامثلة عديدة: فمعظم القطاعات الخدمية الرئيسية والفرعية في القطاع العام قد طالتها برامج الخصخصة. تمّ تخصيص إنتاج الكهرباء والموانئ والمواصلات والبلديات وبيعها على شركات عالمية، وحتى قطاعي الصحة والتعليم شملهما تخصيص العديد من الخدمات المقدّمة للمواطن.

أما رفع الدعم عن السلع وتحريرالتجارة، فقد تمّ البدء بتطبيقها في الأشهر الأخيرة من نهاية عام 2015 وبداية 2016، حين تمّ رفع الدعم عن اللحوم والمحروقات وما تلاه في بداية 2018 من تطبيق الضريبة الانتقائية، ثم تلتها الدفعة الأولى من ضريبة القيمة المضافة 5٪، ورفع سعر المحروقات مرة ثانية في بداية 2019، ليتبع ذلك، مرةً أخرى، رفع الضريبة نفسها إلى 10٪ في يناير 2022.

وعبر العديد من تشريعات العمل تمّ الغاء العديد من المواد في القوانين المتعلقة بالعمل التي كانت تشكّل حماية نسبية للعامل من الفصل من العمل، أو تُعطي بعض الأفضلية لتشغيل المواطنين، بل تمّ فتح الأبواب للعمالة الأجنبية وصلت إلى درجة إغراق البلد مما جعل سوق العمل في حالٍ من الفوضى لا يمكن إدارتها، خاصة مع تصريح العمل المرن والتأشيرة السياحية وغيرها من القرارات.

وبتنفيذ أمين لتلك التوصيات جاء ما تمّ في برنامج التقاعد الإختياريـ حيث أحيل ما يقارب 9000 موظف في القطاع العام للتقاعد في عملية تقليص لهذا القطاع لتتبعها في عام 2022 تعديلات التقاعد المجحفة في حق جميع المشتركين من متقاعدين وعاملين.

وبكل ما لهذه الإجراءات من تبعات عكسيّة على معيشة المواطن، حيث نشهد ارتفاعاً مستمراً في تكاليف المعيشة، يرافقه انخفاض في دخل المواطن، وغياب الأمن الوظيفي وفرص العمل، وتنامي نسبة العاطلين عن العمل، وتدني الخدمات المقدّمة للمواطنين، فإن إعلامنا الرسمي، وفي مقابلة ذلك، لا زال يتحفنا بين فينة وأخرى، بتصريحات لهذه المؤسسات عن نجاح البحرين في اجراءاتها. فما هى غاية هذه الإجراءات إذا لم تنعكس على معيشة وأمن المواطن إجتماعياً واقتصادياً إلا سلباً؟!

من جانب آخر لا يقلّ دلالة، تتغاضى عنه الجهات التنفيذية والتي تتباهى، في تصريحات المسؤولين فيها، عن رضا المؤسسات المالية الدولية عن الأداء الحكومي، وبمعنى آخر فقد تمّ التنفيذ الأمين لكل تلك التوصيات والبرامج، رغم انه وعلى مدى عقود ومعظم برامج وخطط المؤسسات المالية الدولية في معظم نتائجها وفي معظم الدول النامية لم تكن في صالح العامة من مواطني هذه الدول، خاصة محدودي الدخل والفقراء والذين غالباً ما يتحملون الآثار التوزيعية لهذه البرامج، وهذا ما يتجلى بوضوح في وضعنا المعيشي الراهن في البحرين.

العنـــف الاقتصـــادي ضد المرأة

يعدّ العنف ضد المرأة أحد أكثر الانتهاكات انتشاراً واستمراراً في العالم، وهو عنف قائم على النوع الاجتماعي ويوجه ضد المرأة بسبب كونها امرأة. وعلى الرغم أن المرأة أثبتت كفاءتها في شتى المجالات، ورغم محاولات المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان السعي لتقليص هذه الظاهرة، إلا أن ذلك لم يمنع من تعرضها للعنف بمختلف أشكاله. إن العنف يرسخ الجهل ويمتد أثره على الأسرة والمجتمع ككل، ويلحق بالمرأة أضراراً جسدية واقتصادية ونفسية خطيرة ويشكل عائقاً أمام تقدمها ويعطل قدراتها بما يعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة.

دينا الأمير

عرّفت المادة (1) من الإعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة بموجب قرار الجمعية العامة للأمم 104/48 عام 1993 مصطلح العنف ضد المرأة بأنه «أي عمل من أعمال العنف القائم على نوع الجنس والذي يترتب عليه، أو من المحتمل أن يترتب عليه، أذى جسدي أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة، بما في ذلك التهديد بالإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في مكان عام أو الحياة الخاصة».

ووفقاً لتقارير الأمم المتحدة، يعد العنف الاقتصادي نوعاً من أنواع العنف المنزلي الممارس ضد النساء، ويظهر في العديد من المجتمعات، ويختلف عن الأشكال التقليدية للعنف كالإيذاء الجسدي أو المعنوي، وهو عادة يرتكب ضد النساء العاملات سواء كانت المرأة زوجة أو أخت أو ابنة، ويهدف إلى منع النساء من استخدام أو التصرف أو استغلال مواردهن المالية والاقتصادية. ويعتبر العنف الاقتصادي من أقلّ أنواع العنف المبلغ عنه، لذا لا توجد إحصائيات أو أرقام محددة حوله.

وينص قرار الجمعية العامة المتعلق بالقضاء على العنف العائلي ضد المرأة 147/58 على ما يلي: «إن العنف العائلي يمكن أن يشمل الحرمان الاقتصادي والعزلة، وأن مثل هذا السلوك قد يسبب بالغ الأذى لسلامة المرأة أو صحتها أو رفاهها».

تتعدد أشكال العنف الاقتصادي ضد المرأة بشكل عام وضد الزوجة بشكل خاص وتتمثل في منعها من التعليم أو إكمال الدراسة مما يقلل من فرص العمل مستقبلاً، أو الحرمان من العمل أو اختيار نوعية العمل – خاصة إذا كانت المرأة تريد العمل لرعاية والديها مثلاً – أو السماح لها بالعمل بشرط حصول الزوج على جزء من راتبها، أو يتم استغلالها في العمل المنزلي ورعاية الأسرة بدون أجر، أو صرف أموالها والسيطرة على ممتلكاتها بدون رضاها، أو استخدام العنف الجسدي والتهديد لإجبارها على التخلي عن أموالها. إن التحكم في القرارت المالية للمرأة يؤثر على حياتها ومستقبلها وصحتها وسلامتها وكرامتها، وينتهك حقوقها ويهمشها ويقلل من دورها في المشاركة الاقتصادية ويجعلها معتمدة كلياً على الغير، كما يحد من قدرتها على التمتع بالحرية والاستقلال.

إن النهوض بأوضاع المرأة وتمكينها اقتصادياً وحمايتها من العنف الاقتصادي والعمل على المساواة بين الجنسين هو حق إنساني أساسي، ويتماشى مع اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) حيث تنص المادة 15 على: "المساواة في حقوق المرأة في إبرام العقود وإدارة الممتلكات"، والمادة 16 "المتعلقة بحق المرأة المتزوجة في حيازة الممتلكات وإدارتها والتصرف فيها على قدم المساواة مع الرجل". كما أنه يتماشى مع خطة التنمية المستدامة الـ 17 لعام 2030 وعلى وجه الخصوص مع الهدف الخامس الذي يدعو إلى "منح المرأة حقوقاً متساوية في الموارد الاقتصادية، وكذلك في الوصول إلى الملكية والتحكم في الأراضي وغيرها من أشكال الملكية، والخدمات المالية، والميراث والموارد الطبيعية، وفقاً للقوانين الوطنية" والهدف الثامن بشأن "تعزيز النمو الاقتصادي المتواصل والشامل والمستدام، والعمالة الكاملة والمنتجة، والعمل اللائق للجميع".

ولتخفيف معاناة النساء من العنف الزوجي الاقتصادي وما يصاحبه من صعوبة التبليغ عنه لاعتبارات عديدة، وللتقليل من انعكساته الخطيرة على الأسرة والمجتمع، يجب تثقيف وتوعية المجتمع بحقوق المرأة وتغيير الثقافة السائدة التي تعزز العنف الاقتصادي ضد المرأة. كما يجب حماية النساء وتقديم المشورة القانونية والنفسية للاتي يتعرضن للعنف، وإشراك المرأة تشجيعها للانخراط في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن إنهاء العنف ضد المرأة بجميع أشكاله يسهم في بناء مجتمع أكثر تقدماً وعدالة وتنمية مستدامة للجميع.

بصراحة

البداية كانت من قرار تقسيم فلسطين

صدر قرار تقسيم فلسطين التاريخية رقم ١٨١ من الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة تمَّ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وبإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم أراضيها إلى ثلاثة كيانات: دولة عربية، ودولة يهودية، القدس وبيت لحم والأراضي المجاورة تحت وصاية دولية، حسب القرار الدولي، وبالرغم من صدور هذا القرار الظالم الذي قسَّم فلسطين التاريخية، منذ ذلك التاريخ المشؤوم فإن الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة لم تقم. في البداية تمَّ رفض القرار من قبل الدول العربية وخاضت حرباً مع العصابات الصهيونية وبالأخص بعد قيام الكيان الصهيونى في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ في أرض فلسطين التاريخية، فيما عجزت هيئة الأمم المتحدة عن تنفيذ القرار وإجبار الكيان الصهيوني على الإلتزام به.

فاضل الحلیبي

كانت هذه بداية رفض القرارات الدولية من قبل مجلس الأمن الدولي بدعم وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية وباستخدام حق النقض "الفيتو" لإجهاض أي قرار يصدر ضد "إسرائيل"، ولهذا نجدها تعربد وتعتدي ليس على الشعب الفلسطيني بل على الدول المجاورة، وهي تعرف مسبقاً بأن القرارات الدولية لن تفرض عليها من خلال الفيتو الأمريكي، فاستمرت طوال تلك العقود تمارس سياسة العدوان والقتل والاعتقال والتهجير وتهويد الأراضي الفلسطينية وتخوض الحروب بدعم ومساندة الإمبريالية الأمريكية وحلفائها الغربيين .

تاريخُ الكيان الصهيوني حافلٌ بالجرائم والمجازر، ونذكر هنا بعض الحروب التي قامت بها، ففي عام 1956 تمّ العدوان الثلاثي:الإسرائيلي، البريطاني، الفرنسي على مصر، حرب يونيو عام 1967 على مصر وسوريا، حرب أكتوبرعام 1973 على مصر وسوريا، اجتياح لبنان واحتلال بيروت عام1982، وخروج منظمة التحريرالفلسطينية من بيروت فيما بعد، مجزرة صبرا وشاتيلا، والعدوان على جنوب لبنان عام 1982، وفي سبتمبر من نفس العام الإعلان عن قيام جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، ومقاومة المحتلين الصهاينة، وبعدها تأسَّس حزب الله وأسَّس المقاومة الإسلامية حتى تمَّ تحرير لبنان في مايو من عام 2002، ولكن الاعتداءات الصهيونية على الفلسطينيين ولبنان لم تتوقف، فكان عدوان تموز عام 2006، وبعد عامين (في العام 2008) العدوان على غزّة، وتكررت اعتداءات العدو وحروبه على الشعب الفلسطيني في غزّة حتى طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر عام 2023، ولازالت الإبادة الجماعية مستمرة من قبل الكيان الصهيوني وبدعم واضح من الإمبريالية الأمريكية وحلفائها الغربيين وبصمت وتخاذل النظام الرسمي العربي، رغم أن الشعوب العربية والإسلامية تعلن عن التضامن مع الشعب الفلسطيني حسب المتاح والمسموح القيام به من أنشطة وفعاليات وبيانات تضامنية.

عودة لصدور القرار رقم 242 عن مجلس الأمن الدولي التابع لهيئة الأمم المتحدة في 22 نوفمبر 1967، بعد هزيمة الجيوش العربية من قِبل الكيان الصهيوني، واحتلال أراض جديدة في فلسطين ومصر وسوريا، والذي طالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي المحتلة، التي لم تنسحب منها عدا سيناء بعد توقيع السادات مع الكيان اتفاقية «كامب ديفيد» في 17 سبتمبر من عام 1978، والتي عرفت بمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، فيما استمرت إسرائيل في استقطاع المزيد من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وبناء المستوطنات الصهيونية، وازداد ذلك بعد توقيع انفاقية أوسلو في سبتمبر من عام 1993 لتقضيَ على الحلم الفلسطيني في قيام الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، وهو الحلم الذي من أجل تحقيقه أجيال عديدة من الفلسطينيين.

هيئة الأمم المتحدة، والمجتمع الدولي برمته لم ينصف الشعب الفلسطيني، كشعب من حقه أن يعيش على أرضه حاله كسائر الشعوب في العالم ويؤسَّس دولته ذات السيادة الوطنية، ولم تمارس الأمم المتحدة أي ضغوطات على الكيان الصهيوني من أجل الالتزام بالقرارات الدولية طوال ست وسبعين سنة، ويتصرف وكأنه غير معني بأي قرارات صادرة عن الأمم المتحدة، وتقف معه الإمبريالية الأمريكية تحميه وتدافع عنه، رغم معرفتها بأنه ينتهك حقوق الإنسان ويمارس سياسة الفصل العنصري في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وما يجري في غزّة دليل واضح على فاشيته ودمويته بقتل الآلاف من الفلسطينيين، وبينهم الأطفال والنساء والشيوخ وتدمير غزّة بالكامل، وتقف ضد إدانته أو وقف إطلاق النار في غزة فهي شريك في قتل الفلسطينيين، وكذلك مايقوم به من قتل واعتقال في مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية ضد الفلسطينيين، ولا يهاب من أي قوة في العالم تدين أفعاله الإجرامية والفاشية.

وأخيراً استخدمت واشنطن حق النقض «الفيتو» لصالح الكيان الصهيوني بتاريخ 18 إبريل 2024 في عدم قبول فلسطين دولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة، بالرغم من تصويت 12 دولة من أصل 15 عضوة في مجلس الأمن الدولي لصالح الاقتراح، وامتناع فرنسا وبريطانيا، فالرهان على الأمريكيين من قبل السلطة الفلسطينية أو الدول العربية والإسلامية، لإيجاد تسوية سياسة للقضية الفلسطينية رهان خاسر في الحاضر والمستقبل.

ولن يكون هناك سلام واستقرار في المنطقة بدون الإقرار بحق الشعب الفلسطيني في نيله حريته، وقيام دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، ومن أجل ذلك فإن الوحدة الوطنية للفصائل والأحزاب الفلسطينية في غاية الأهمية وهي التي سوف تفشل المخططات والمشاريع الصهيونية والأمريكية وتسرِّع من تحقيق حلمه في دولته ذات السيادة الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، فالشعب الفلسطيني وحده له الحق في تحديد خياراته السياسية والمستقبلية بما فيها دولته الوطنية.

الشخصية الصهيونية

يشمل مفهوم اللّه في اليهودية ثالوثاً مكوّناً من «الرب والشعب والأرض»، ويؤمن اليهود بأن النبي ملاخي هو أخر الأنبياء وأن اللّه لم يرسل أنبياء بعد عام ٤٢٠ ق.م، وينتظر اليهود مجئ المسيا (المسيح) المخلص في نهاية العالم الذي سَيخلصهم من الشتات ويعيد إنشاء مملكة إسرائيل وُيقيم الوصايا والشريعة، ويبني هيكل سليمان ويسود السلام العالمي، ويؤمن اليهود بأن المسيح لم يأتِ حتي الآن، وكل من أدعوا المسيانية هم مسحاء كذبة ومهرطقين، لم يحقق أي منهم النبؤات الموعودة.

د. عماد الزيداني

وتتراوح أعداد أتباع الديانة اليهودية بين 14.5 مليون إلى 17.4 مليون معتنق في جميع أنحاء العالم، حيث أن تعداد اليهود في حد ذاته يعدّ قضية خلافية حول قضية «من هو اليهودي؟». في إسرائيل هناك إتجاهان: الصهيونية العلمانية والصهيونية المتدينة، وتعتمد الاثنتان، في المحتوى والأهداف، على التوراة، ويفصل بينهم خط رفيع يكاد لا يُعرف، فالاثنتان تصدران من نفس المرجعية ولم تختلفان في نقطة واحدة، لأن الاولى وهي الصهيونية العلمانية تراها سجلاً للتراث أو التاريخ اليهودي/ وبذلك يدخل في مكوّنات الهوية القومية لليهود على اعتبار أنها حوّلت الصهيونية اليهودية إلى قومية، والأخرى وهي الصهيونية المتدينة سماوياً تقوم على الإيمان بالدين اليهودي، وإن كانت أيضاً بهذه الصفة تُمثّل المكوّن المحوري للهوية القومية اليهودية.

في التورات نقرا في سفر سمويل الأول ما امر به ياهو شاول الذي تقول عنه التوراة إنه أول ملوك بني اسرائيل عندما واجه العماليقة من الأقوام التي تسكن فلسطين، وأريد أن اذكركم هنا بما قاله نتنياهو خلال حربه على غزّه مؤخراً عن موضوع العماليق؛ يقول رب الجنود: «اذهب واضرب العماليق، وأحرم كل ماله، ولا تتعفى عنهم رجلاً وإمرأة وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.

انتهى الكلام المكتوب في سفر مويه الأول، أوامر يهو هذه بالإبادة التي تتفاوت في درجات وحشيتها بحسب اختلاف البلاد المرشحة لتكون أهدافاً للاغتصاب والقهر، فبالنسبه للمدن البعيدة عن مواطن بني اسرائيل تبدو الوحشية أقل وطأة. نقرأ مرة ثانية في التوراة عن هذه البلاد إذا دفعها الرب إله الهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكرها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغتنمها لنفسك وتأكل الغنيمة غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب لك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً. مرةً ثانيةً يختلف مصير مدن الشعوب القريبة من مواطن بني إسرائيل، فتراهم يقولون مدن هؤلاء الشعبة يعطيك الرب إلهك نصيباً لا تستبقي منهم نسمة بل تحرمهم تحريماً كما أمرك الرب الهك، وحين انتصر جند موسى على المديانيين وجاؤوا بالسبايا والغنائم، قال لهم موسى فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت بمضاجعة ذكر اقتلوها، لكن جميع الاطفال والنساء من اللاتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم أحياء، ويوصي الرب موسى قائلا فتطردون كل سكان الأرض من أماكن وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم

بعد أن تمكن يوشع بنون من دخول أريحا وضع أسس التعامل مع أهل المدينة، فقتلوا كل من في المدينة، رجلاً وامرأه من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحدّ السيف، ولما استولى على المدينة عاي حدث الشيء نفسه، ولما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عائى في الحقل وفي البرية حيث لحقوهم سقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا. ومن وصايا الحرب يقال في التوراة" (قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأطلافك أجعلها نحاساً، فتسحقين شعوباً كثيرة غنيمتهم للرب وثروتهم للسيد كل الأرض).

قام العالم السيكولوجي جورج تمارين باج باجراء بحث في جامعة تل ابيب 1966 حول ردود فعل الطلبة على سفر يوشع وفضاء اريحا ومقيده وغيرها من الأماكن، وقدّم ثلاثة أسئلة إلى 1066 طالب من الصف الرابع حتى الصف الثامن، وهي كالتالي: السؤال الأول: هل تعتقدون يوشع والاسرائيليين قد فعلوا الصواب؟، وكانت النتيجه أن 60٪ أجابوا بأن يوشع قد فعل الصواب. السؤال الثاني: لنفرض أنّ الجيش الإسرائيلي يحتل قرية عربية بالقتال فهل يتحتم أن يفعل كما فعل يوشع مع أهالي أريحا ومقيده ، فوافق ما نسبته 30٪ منهم على العمل المثل ضد أهالي أي قرية عربية محتلة. أما السؤال الثالث فقد درس تأثير التمركز العنصري على الحكم الأخلاقي وطلب ردّ فعل على عمل فظيع ارتكبه الجنرال لين في الصين البعيدة وحصل هذا السؤال على رد ايجابي من جانب 70٪.

يؤمن اليهود بأن الله يرسل أنبياء ثانويين من غير اليهود للأغيار من الأمم الأخري ليدعونهم للتوحيد ونبذ الشرك، ويرى بعض الحاخامات ومنهم نثنائيل بن الفيومي بأن محمد بن عبدالله نبيًا صادقًا لكونه عدل العرب عن الوثنية، وجعلهم يعبدون إله اليهود، ولكن رسالته موجهة للعرب خاصة وليست لليهود، ويُجادل البعض بأنه ربما تم تحريف رسالة محمد لكونها تدعو اليهود للإسلام وتذمهم.

الأيديولوجية الصهيونية أيضاً استعارت من الديانة اليهودية مفهوم الإبادة، وتفعل ذلك بزعم لتنفيذ العدالة الإلهية في حقّ الخطاة أو المخطئين، لأنهم يستحقونه لعصيانهم، كما أنه فعل يستهدف اقتلاع جذور الدنس حتى لا يتلوث بنو إسرائيل به، كمّا يُعدّ فعل التحريم تقديم من اليهود ونوعاً من الأضاحي تقدم لهم.

في التوراة يظهر اليهود قومًا جبارين لا يُقهرون أثناء رحلة خروجهم، إلا أن هذا لم يمنع أن يكون العماليق أول من داهمهم. ومع أنّ الغلبة كانت لليهود في هذه الحرب، إلا أن العماليق حطموا ثقتهم في قوتهم. إنّ هجوم حماس المباغت في السابع من أكتوبر قد جعل إسرائيل تعاني مجددا شعور فقدان الثقة بالنفس الذي لازمها طوال تاريخها

تظهر جغرافية انتشار العماليق أوسع بكثير. تذكر الوثائق العربية أنهم في الأصل عرب أصليّون (العرب العاربة) عاشوا أولا في محيط مدينة بابل، وبعد انهيار برج المدينة هاجروا إلى الحجاز، من هناك انتشروا في منطقة واسعة تشمل نجد وتيماء وعُمان والبحرين والجزيرة الفراتية وسوريا وفلسطين ومصر وإفريقيا (تونس). تعود السجلات التوراتية الأولى لتاريخ العماليق إلى الربع الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد من زمن إبراهيم عليه السلام إلى ما بعد خروج بني إسرائيل من مصر.

بحسب التقاليد اليهودية، يمثل العماليق، أقدم الأقوام، أسوأ صور الشر، وأن "الهلاك الدائم" قد كُتب عليهم. إذ يُنظر إلى صراع إسرائيل والعماليق على أنه "رمز للصراع الخالد بين الخير والشر."انظر Tora ve Aftar – المجلد الثاني".

التهجير وصيّة توراتية

في الجلسة الافتتاحية للكنيست في السادس عشر من أكتوبر 2023، شبّه نتنياهو في حديثه عن الصراع الدائر بين إسرائيل وحماس بـ «الحرب بين الظلام والنور» وذلك يعزى إلى هذه الخلفية التاريخية، والتي منها ينبع اعتقاد اليمين المتطرف واليهود المتدينين اليوم في إسرائيل بأن تهجير العرب من إسرائيل أو إبادتهم هو وصية توراتية؛ وذلك لكون «العماليق» هم في أصلهم قبيلة عربية. إنّ ربط الفلسطينيين أو العرب بالعماليق لم يقتصر على السياسيين أمثال نتنياهو؛ إن انتصار اليهود في حرب الأيام الستة لعام 1967 واحتلال القدس وما لحقها من حروب مع العرب قد أعطى المتدينين من اليهود أملاً كبيراً. كما أن نتنياهو قد أشار إلى هذه الحروب في المؤتمر الصحفي الذي عقد في الثامن والعشرين من أكتوبر 2023.

بعض من الأسئلة التي أثارتها حرب الإبادة على غزّة

ينشغل أصحاب المصالح بالتخطيط لمشاريع الإعمار في غزّة وبناء العلاقات والتفاوض مع الحلفاء والشركاء حول هوية الفاعلين الجدد في المنطقة وتحديد تموقعهم بطريقة تخدم مشاريعهم الامبريالية.وفي المقابل ينكبّ عدد من المفكرين على رصد التحولات إن كان على مستوى معاني القوانين والتشريعات الدولية وخارطة العلاقات الدولية وأداء الهيئات والمنظمات الأممية والتمركز الغربي والخطابات السياسية والإعلامية القائمة على المراوغة والتزييف وممارسة الهيمنة والتسلّط أو ما يتعلّق بالمنظومة القيمية التي بدت فاقدة للتأثير والسلوك والبنى الذهنية والنفسية... وهذا الاهتمام يجعل«النخب» لا تفكر في تبعات حرب الإبادة سياسيا واقتصاديا فحسب بل تتجاوز ذلك إلى فحص انعكاساتها على مستوى التصورات ورؤية الذات وعلاقتها بالآخر وإنتاج المعرفة وغيرها من المواضيع.

آمال قرامي *

يفرض علينا السياق العالمي الجديد أن نفكر في الأحداث من منظور مختلف عن السائد فنحن إزاء ركح ومشهدية وفاعلين وخطابات وأداء وألاعيب فنية وصناعة لسرديات وأبطال... وجمهور يتابع "دولة مارقة" تستعرض يوميا، قدرتها على تدمير المشترك الإنساني والعبث بكلّ المعايير الأخلاقية والقانونية. يحدث ذلك بمباركة الرجل الأبيض وتأييده للإبادة بدعوى الحرب على حماس/الإرهاب، وهي نفس الحجة التي سمحت لإدارة بوش من قبل، باقتراف الجرائم الوحشية بحق المسلمين...يحدث هذا الدمار أمام الجميع.

ويدفعنا هذا "التفنن" في ممارسة التوحش والإبادة والتدمير والتطبيع مع التطهير العرقي إلى استحضار أسئلة طرحت من قبل حول التحضّر و"العقلانية" و"الحداثة و"التمدن و التنوير و الديمقراطية و حقوق الإنسان في بعدها الكوني وثقافة الحوار، والثقافة الإدماجية، والتثاقف وغيرها من المبادئ والمفاهيم والمصطلحات التي أشاعتها الأمم المتحدة والهيئات التابعة لها وفرضت على الدول إدماجها في السياسات العامة. ولكن ها نحن أمام مجموعة من المآزق لعلّ أوّلها ما تواجهه المنظومة التعليمية من مصاعب إذ كيف يمكن إقناع الجيل الحاضر والأجيال القادمة بجدوى هذه المبادئ والمفاهيم والمصطلحات التي فقدت معناها ونجاعتها بعد اختبار حرب الإبادة في غزّة ؟ أمّا المأزق الثاني فيتمثّل في استمرار برامج الشراكة الممولة من الدول المتورطة في هذه الإبادة.

وفي السياق نفسه يعاد النظر في علاقتنا بالتكنولوجيا وفضائل التواصل وثقافة الصورة وخصائص"الكائن السيبرني"و "مجتمع الفرجة"... وفي مدى تأثير هذه العناصر في تشكيل وعينا وبنية مشاعرنا وأشكال تعاطفنا مع الآخرين وبناء علاقاتنا وردود فعلنا وتقييمنا للأحداث، وحكمنا عليها، ووجاهة الحجج التي نقدّمها ومدى انسجامها، وطرائق تكيّفنا مع ما نشاهد ونسمع وامتثالنا للسردية السائدة والمهيمنة بقوّة من يروّج لها... يُضاف إلى ذلك مراجعة تعريفنا للفضاء الرقمي باعتباره فضاء تحرّر ومنح الصوت للجميع وكسر الحدود فإذا بالمسيطرين على مواقع التواصل يحدّدون محتوى التفاعل ويمارسون كلّ أشكال التسلّط والهيمنة فارضين على التابعين الطاعة والامتثال فمن لا يملك القدرة على إنتاج التكنولوجيا يستحق التأديب والعقوبات. وثمّة اليوم،دعوة ملّحة لإعادة النظر في كلّ المعارف ومن أبرزها ما انتج حول الإرهاب والتفكّر في الاصطلاحات المتداولة (الراديكالية، نزع الراديكالية، التأهيل، إعادة الإدماج...) والمفاهيم التي صارت معولمة ب القوّة . فما فهمنا للإرهاب في سياق ما نُعاين ونشاهد منذ أكتوبر 2023؟ وما معنى إرهاب الدول؟ وهل يستوي تقييمنا ل داعش" مع تقييمنا لداعش الجديدة في نسختها الصهيونية؟ وهل تصمد القراءات النقدية العميقة أمام استراتيجيات التعتيم والحجب والاقصاء والشطب وترسانة آليات قمع الصوت الحرّ، وتعدّد الأصوات"؟

تُوّلد هذه الأسئلة أسئلة أخرى تتعلق بالنظم الاقتصادية النيوليبرالية التي غيرت فهمنا للإنسان فإذا بنا نلاحظ نتائج سياسات الاستغلال وأبرزها تحويل الفرد إلى أداة في يد السيّد بل الاستغناء عنه. فما هي أهداف الأنشطة الاقتصادية؟ وما هو مفهوم العمل اليوم؟ وما هي الغاية من الحياة؟ ولذا بدأ التفكير في تعريف جديد للعمل موصول إلى المجموعة وفي خدمة المصلحة العامة، وشاع الحديث عن المعرفة المفيدة للصالح العام وانطلق النقاش حول ضرورة خلق فضاء عام منتج لوعي مغاير...

إنّنا في مرحلة مخاض فكريّ عسير نجهل ما سيترتب عنها من نتائج.

* باحثة من تونس

(قف)

هزيمة «التنمية والعدالة» في تركيا

لم يكن مفاجئًا ذلك التراجع الذي مُني به حزب العدالة والتنمية وزعيمه رجب طيب أردوغان في الانتخابات البلدية التركية التي جرت يوم الأحد ٣١ مارس/ آذار ٢٠٢٤، بحصوله على ٣٥,٦٪ من أصوات الناخبين، متراجعًا عن نتيجته في انتخابات عام ٢٠١٩ التي كانت ٤٤,٣٪, وحلوله في المركز الثاني لأول مرة في تاريخه منذ ربع قرن .

فهد المضحكي

كان ذلك متوقعًا، كل الدلائل كانت تشير إلى تراجع شعبية الحزب وعدد مؤيّديه، لأسباب موضوعية عديدة، لكنّ المفاجأة ، كما يراها الكاتب والباحث في الشؤون التركية سامي الخطيب، كانت في حجم هذا السقوط المدوّي، ثم في ذلك الفوز التاريخي الذي لم يحقّقه حزب الشعب الجمهوري منذ عام 1977 بحصوله على 37.8٪ من أصوات الناخبين، متقدمًا بـ 7.7 ٪ من الأصوات عمّا حقّقه عام 2019 ، فضلًا عن صعود حزب " الرفاه من جديد "، ذي الخلفيّة الإسلامية، وحصوله على 6.2٪ من الأصوات، وهو الحزب الناشئ الذي لم يسجّل له، منذ نشأته، أي تأثير اجتماعي أو نجاح سياسي أو فوز انتخابي، سوى دخوله البرلمان بخمسة مرشحين على أكتاف حزب العدالة والتنمية.

يعتقد البعض أن نتائج الانتخابات البلدية الحالية تتعلّق بأخطاء الحزب الحاكم أكثر من تعلّقها بنجاح المعارضة، التي لم تقدم لتركيا شيئًا يذكر في السنوات العشر الأخيرة، في حين تذهب بعض التحليلات إلى أن عوامل هزيمة حزب العدالة والتنمية تتمثل في الإخفاقات التالية:

– العامل الاقتصادي:

كان للعامل الاقتصادي الأثر الأكبر في تشكيل مزاج الناخب التركي، حيث ساهم اكتشاف النفط واستغلال موارد الغاز الطبيعي، وتطوير صناعة الأسلحة، وتنشيط قطاع السياحة، والزيادات الهائلة في حجم الصادرات التركية، ساهمت في انتعاش الاقتصاد التركي، وتحسين وضع الليرة أمام الدولار، وشهدت تركيا بحبوحة اقتصادية جعلتها من بين الاقتصادات النامية في العالم.

ولكن المشكلات التي عصفت بتركيا والعالم، من جائحة كورونا وزلزال كهرمان مرش، إلى الحرب الروسية الأوكرانية، كبّد الاقتصاد التركي خسائر كبيرة، فتراجع الوضع المعيشي، وزادت معاناة الناس، وصمد أردوغان في مواجهة هبوط قيمة الليرة، وارتفاع سعر الفائدة، وأصرّ على خفض سعرها، حتى بلغ التضخم حدًا لم يتمكن فيه من كبح جماحه، فاضطربت سياساته الاقتصادية، وهي السياسات التي أرهقت كاهل المواطن وزادت من معاناته، وهو الذي يئن تحت وطأة الغلاء، والفساد، وارتفاع الأسعار وقلة الرواتب وانخفاض قدرته الشرائية.

– الموقف من الحرب على غزّة:

خلال الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، التي جرت في مايو/ أيار 2023، تحالف حزب «الرفاه الجديد « بقيادة الإعلامي فاتح أربكان، نجل رئيس الوزراء الأسبق نجم الدين أربكان، مؤسس حزب الرفاه الأم مع الرئيس أردوغان. الأمر اختلف الآن عندما رفض أربكان الشاب سحب مرشحه من إسطنبول لصالح مرشح أردوغان مراد كوروم. وضع أربكان ثلاثة شروط: إنهاء التعامل التجاري مع إسرائيل، إغلاق قاعدة كورجيك التابعة لحلف شمال الأطلسي وزيادة رواتب المتقاعدين.

وتحوّلت مسألة العلاقات التجارية مع إسرائيل وزيادة رواتب المتقاعدين إلى ورقتين في صميم المعركة الانتخابية. تداعيات حرب غزّة وممارسة إسرائيل سياسة الإبادة والتجويع والقتل الجماعي للأطفال والنساء أثارت غضب الجماهير التركية التي نظّمت تظاهرات ضد إسرائيل وتأييدًا للفلسطينيين.

– الوضع الداخلي للحزب:

بعد أكثر من اثنين وعشرين عامًا في الحكم، بدا أن حزب العدالة والتنمية بحاجة لإعادة النظر في تقييم أدائه، وإعادة النظر في آلياته وتحالفاته، فعلى مستوى الخط السياسي والمتبنّيات الفكرية تخلّى الحزب عن كثير من مبادئه لينحو إلى مواقف أكثر قومية، نتيجة الضغوط الانتخابية والضرورات التحالفية، فبعد أن كان من أشد المدافعين عن اللاجئين وحقوقهم أخذ منحى متشدّدًا في التعامل معهم، وبعد أن بالغ في الانتصار للحريات والمظلومين، اضطرته ضغوط السياسة والاقتصاد – السياسة البراجماتية – إلى التماهي مع المواقف المصرية والخليجية عربيًا ، ومن أمريكا وأوروبا وإسرائيل غربيًا، وهي مواقف لم يتكيّف معها المواطن التركي، الذي رأى أن مرشحي العدالة والتنمية، وجلّهم من قدامى الحزبيين، لا يُمثّلون طموحاته بالتغيير والإصلاح.

بعض الإسلاميين، يقرؤون هزيمة العدالة والتنمية كجزء من هزائم ونكسات شهدها الإسلاميون في المنطقة، ويعتبرون أن الأمر يؤشر على نهاية دورة إصلاحية، والحاجة إلى دورة أخرى، والبعض الآخر يتحدث عن الإنهاك الحكومي، وأن فترة 22 سنة من الحكم، كان لابد لها أن تحدث تأثيرًا في اتجاه إنهاك الذات التنظيمية، وإعاقة قدرتها على الإبداع. لكن في الواقع لم تكن كل هذه الهزائم بمعزل عن أزمة خطاب هذه الحركات المتأسلمة.

باختصار، خاض الأتراك الانتخابات الأخيرة وجبهة المعارضة واضحة وثابتة، توجهت بأصواتها إلى الحزب القادر على المواجهة، دون تشتيت أصواتها عند الأحزاب المساندة، فكان لحزب الشعب الجمهوري، الذي أسسه كمال أتاتورك، نصيب الأسد فيها، بينما كانت جبهة حزب العدالة والتنمية متردّدة يائسة غاضبة منقسمة.

كيف يقلل تطوير الائتمان من عدم المساواة بين الجنسين؟

أظهرت دراسة أجراها البنك الدولي، استنادا إلى بيانات من حوالي خمسين دولة نامية، أنه كلما تحسن القطاع المصرفي في بلد ما، زادت احتمالية أن تصبح المرأة رئيسة لشركة تصنيع. ومن المرجح أن تواجه النساء صعوبات في الحصول على التمويل أكثر من الرجال. ونتيجة لذلك، يفضل أصحاب الأعمال اختيار مدير ذكر لأعمالهم: فالحصول على التمويل أمر بالغ الأهمية لتطوير الأعمال، وقد تكون المديرات محرومات مقارنة بالرجال بسبب التمييز بين الجنسين في الأسواق المالية. وتؤدي سهولة الحصول على الائتمان إلى زيادة احتمالات تولي امرأة منصب المدير الأول للشركة، وبالتالي تضييق الفجوة بين الجنسين في المناصب القيادية العليا في قطاع الأعمال، حسبما توصل خبراء اقتصاديون بالبنك الدولي في دراسة استندت إلى بيانات من ٤٧ دولة نامية.

حسين الشويخ

وتشير تقديراتهم إلى أن زيادة انحراف معياري واحد في نسبة القروض المصرفية إلى الناتج المحلي الإجمالي ترتبط بزيادة قدرها 4.4 إلى 4.8 نقطة مئوية في احتمال أن يكون المدير الأعلى في الشركة امرأة وليس رجلاً. وهذا تأثير مهم من الناحية الاقتصادية بالنظر إلى أن نسبة المديرات في العينة بأكملها كانت 18٪ في المتوسط.

الجنس والأعمال

تعدّ نسبة الرجال والنساء في المناصب القيادية (سواء في قطاع الأعمال أو في الإدارة العامة) أحد المعايير المستخدمة لتقييم التفاوت بين الجنسين. يؤدي التنوع بين الجنسين في قيادة الشركةإلى تحسين كفاءتها. وفقا للبيانات العالمية الصادرة عن منظمة العمل الدولية، من بين الشركات التي تشجع تقدم المرأة إلى مناصب قيادية، سجلت ثلاثة أرباعها زيادة في أرباحها بنسبة 5-20٪. وتأتي هذه النتيجة على حساب، من بين أمور أخرى، قدر أكبر من الابتكار والإنتاجية: فإذا تم توزيع المواهب بالتساوي بين النساء والرجال، فإن ذلك يعني أنه يمكن زيادة الكفاءة الاقتصادية عندما تتاح للنساء نفس الفرصة التي يتمتع بها الرجال لتحقيق إمكاناتهم الإدارية.

يمكن أن يكون هناك عدة أسباب للتفاوت بين الجنسين في المناصب القيادية في مجال الأعمال. أولا، من الأرجح أن تكون النساء، في المتوسط، غير متعلمات بشكل كاف ويتركن سوق العمل لتربية الأطفال – وهذا يعني أن عدد النساء في المتوسط أقل من عدد الرجال الذين يتمتعون بالمهارات والخبرة اللازمة لشغل منصب مدير أعلى.

ثانيا، تظهر الأبحاث أن النساء، مقارنة بالرجال، أقل نفورا من المخاطر ويفضلن بيئة أقل تنافسية وظروف عمل أكثر مرونة. وهذا يعني أن النساء قد يتجنبن الوظائف الإدارية لأنها أكثر خطورة وأكثر تنافسية وتتطلب جداول زمنية غير مرنة للغاية.

وثالثا، هناك تمييز ضد المرأة كمديرة محتملة، وهو تمييز نابع من المعتقدات الثقافية حول أدوار الجنسين، والتي بموجبها يكون المدير الجيد رجلا.

تظهر بعض الدراسات أن النساء والشركات التي تقودها نساء يواجهن صعوبات أكبر في الحصول على التمويل مقارنة بنظرائهن من الرجال. الشركات التي تقودها نساء أكثر عرضة لرفض طلبات القروض، كما أن معدلات الموافقة على القروض لديها أعلى من الشركات التي يقودها رجال. على سبيل المثال، أظهرت إحدى الدراسات المستندة إلى بيانات من 34 دولة في أوروبا وآسيا أن احتمالية الحصول على قرض للشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم التي تديرها النساء أقل بنسبة 5٪، ومعدلات القروض أقل بنسبة 0.5 نقطة مئوية. أعلى من الشركات «الذكورية» المماثلة. تواجه الشركات التي تقودها النساء متطلبات ضمانات ائتمانية أعلى ، ومن غير المرجح أن تتقدم بطلب للحصول على الائتمان بسبب الرفض المتوقع – ويعمل العامل الأخير كمؤشر على القيود الائتمانية إلى جانب رفض القروض.

ومع ذلك، فإن بعض الدراسات لا تجد أي تمييز بين الجنسين في تمويل رواد الأعمال أو حتى تجد حدود ائتمانية أقل فيما يتعلق بهم. وهذا يعني أن سوء وصول الشركات التي ترأسها النساء إلى الائتمان ليس نتيجة مفروغ منها، كما يقول مؤلفو البنك الدولي. وقرروا التحقق من مدى ارتباط هذه القيود بتطور القطاع المالي.

الجنس والائتمان

شملت عينة الدراسة حوالي 15500 مؤسسة صغيرة ومتوسطة الحجم (مع ما يصل إلى 100 موظف) من الصناعات التحويلية في البلدان النامية.

وأوضح المؤلفون أن الباحثين استخدموا نسبة القروض إلى الناتج المحلي الإجمالي كمؤشر رئيسي لتطور القطاع المالي – حيث أن القروض المصرفية هي المصدر الرئيسي لتمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة في البلدان النامية. وكمؤشرات إضافية للتطور المالي، استخدمنا عدد أجهزة الصراف الآلي وفروع البنوك لكل 100000 شخص بالغ، وكذلك نسبة القروض إلى الودائع – وهي تعكس مستوى تطور الوساطة المصرفية، وبالتالي توافر القروض.

ومن بين الشركات التي شملتها الدراسة، تتراوح حصة كبار المديرين من 14.7٪ في ثلث البلدان التي لديها أدنى نسبة ائتمان إلى الناتج المحلي الإجمالي إلى 19.2٪ في ثالث البلدان التي لديها أعلى نسبة. وفي ثلث الدول الوسطى، بلغت النسبة 18.4٪. وهذا يعني أنه مع زيادة نسبة الائتمان المصرفي إلى الناتج المحلي الإجمالي، فإن حصة النساء على رأس

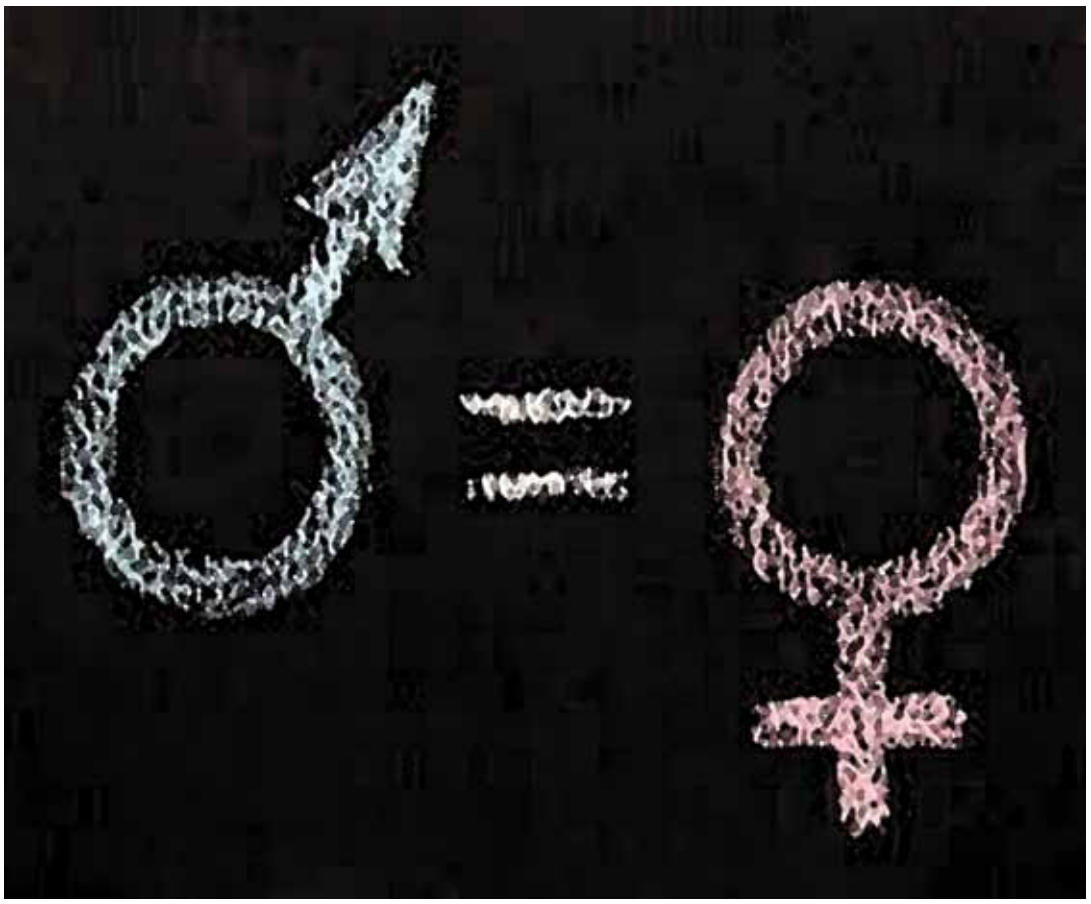

الشركات تتزايد باستمرار. في المتوسط، ترتبط الزيادة في مؤشر التطور المالي هذا بانحراف معياري واحد بزيادة في احتمال أن يكون المدير الأعلى امرأة بنسبة 4.4–4.8 نقطة مئوية. – وهو أمر مهم للغاية.

إذا كانت الفرضية المتعلقة بالعلاقة بين تطور القطاع المالي وحصة كبار المديرين الإناث صحيحة، فسيكون لذلك أكبر الأثر على التركيبة الجنسانية لإدارة تلك الشركات التي يعتمد مجال نشاطها بشكل أكبر على التمويل الخارجي اقترح المؤلفون. تم تأكيد الفرضية: في مثل هذه الشركات، تكون فرص أن تصبح النساء مديرات أعلى بمقدار 2–3 مرات من متوسط العينة استجابة لزيادة الائتمان إلى الناتج المحلي الإجمالي بانحراف معياري واحد. على العكس من ذلك، في الشركات التي يحتاج قطاع أعمالها إلى قروض أقل نسبيا من جميع القطاعات الأخرى، يرتبط التطور المالي بزيادة حصة النساء في مناصب الإدارة العليا أقل بثلاث مرات من المتوسط في جميع الشركات في العينة.

يقول المؤلفون إن مصادر التمييز بين الجنسين بين الشركات المقترضة قد تشمل التمييز «الإحصائي» و«النمطي». تعتمد «الإحصائية» على نقص المعلومات حول الجدارة الائتمانية للمقترض. وفي هذه الحالة، يمكن للمقرضين الاعتماد على المؤشرات الديموغرافية المتاحة بسهولة مثل الجنس. ويحدث التمييز عندما يعتقد المقرضون أن النساء عموما أقل جدارة ائتمانية من الرجال. وبناءً على ذلك، يستند التمييز «النمطي» إلى تحيزات المقرضين فيما يتعلق بالأدوار والأعراف المتعلقة بالجنسين («العمل ليس عملاً خاصاً بالمرأة»)، ويتميز بعدم الامتثال للمعايير الموضوعية للجدارة الائتمانية للمقترض.

من الممكن الحد من التمييز «الإحصائي» من خلال زيادة توافر المعلومات حول المقترض – على سبيل المثال، من خلال تطوير مكتب التاريخ الائتماني. إن التمييز «النمطي» مكلف بالنسبة للدائنين لأنه ينطوي على أرباح ضائعة: فكلما ارتفعت تكاليف التمييز بالنسبة للدائن، كلما كان أقل عرضة لها. ومن العوامل التي تزيد من تكلفة هذا التمييز زيادة المنافسة بين البنوك.

تشمل الأسباب التي تمّ بحثها جيدًا والموصوفة في الأدبيات وراء انخفاض تمثيل المرأة في المناصب الإدارية العليا عدم كفاية التعليم والخبرة، وزيادة النفور من المخاطر والمنافسة، والمزيد من الوقت للعائلة، والتمييز المباشر من أصحاب الشركات، وما إلى ذلك. – يمكن إضافة عامل آخر، كما خلص مؤلفو الدراسة: عرض الائتمان في البلاد. وتشير هذه النتيجة إلى أن التنمية المالية قد تكون وسيلة للحد من التمييز بين الجنسين.

ومع ذلك، ينبغي النظر إلى مؤشرات هذا التطور بشكل شمولي. إن توسيع المعروض من الائتمان – نموه كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي – سيكون له تأثير أقل على الحد من التمييز بين الجنسين في إدارة الأعمال عندما يكون لدى البلاد مكاتب ائتمانية ناجحة وعندما تكون هناك منافسة عالية بالفعل في الصناعة المصرفية.

الانتفاضة الطلابية دعمًا لفلسطين

جلال إبراهيم

مظاهرات وتنديدات واسعة في بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية وعلى رأسها جامعة كولومبيا مناهضة للحرب الإبادية الإسرائيلية على غزّة. وقد عبّر طلاب الجامعات عن غضبهم واستنكارهم للعنف والدمار المستمر على سكان القطاع وما نتج عنه من آلاف القتلى والجرحى بسبب الهمجية البربرية للآلة العسكرية للكيان الصهيوني.

قام الطلاب بتنظيم وقفات احتجاجية، ومسيرات سلمية، ومناقشات عامة، وندوات حول الوضع في غزّة والجرائم الإسرائيلية بحق الفلسطينيين. رفعوا فيها الأعلام واللافتات التي تدين العمليات العسكرية وتدعو إلى وقف هذه الجرائم البشعة فورًا. وقد تم اعتقال الكثير من الطلاب والأساتذة من قبل رجال الشرطة، من بينهم الروائي العراقي سنان أنطوان بعد مشاركتهِ الفعالة مع طلاب جامعة نيويورك المناهضين للعدوان على غزة.

تعدّ الجامعات بيئة حيوية للحوار والتفكير النقدي، ولذلك فإن ردود الفعل حول القضايا السياسية والاجتماعية المثيرة للجدل تكون شائعة بين الطلاب. ومن الطبيعي أن ينتج عن الصراعات الدولية الكبيرة والأحداث العالمية المؤثرة تفاعلات مختلفة في مجتمعات الطلاب في الجامعات.

من الجدير بالذكر أن هذه الاستجابات والتنديدات تعكس وجهات نظر ومشاعر الطلاب والأساتذة النقيضة لأنظمة دولهم السياسية التي تدعم الكيان الصهيوني ماليًا وإعلاميًا وعسكريًا ضد أهالي غزة المسالمين العزل.

من المؤسف أن أغلبية الطلاب وأساتذتهم في الجامعات العربية لا يستطيعون التعبير بحرية عن مشاعرهم القومية والإنسانية في التضامن مع أخوانهم وأهاليهم في غزة وكل فلسطين، كما يفعل زملاؤهم من الطلاب والأساتذة المتحمسين الإنسانيين في جامعات أمريكا وأوروبا.

في تعليقهِ على الحراك الطلابي في بعض الجامعات الأمريكية والأوروبيةِ يقول الكاتب العراقي علاء اللامي: «الحداثة والتقدمية والعلمانية الحقيقية هي أن تكون مدافعًا عن الإنسان أيًا كان وأينما كان ومع الشعوب المضطهدة والتي تتعرض للإبادة الجماعية كالشعب الفلسطيني في غزة، وأن تكون مستعدًا لدفع الثمن من حريتك وحياتك ودراستك وصحتك كما يفعل الشرفاء والشجعان في جامعة كولومبيا هناك في قلب القلعة الإمبريالية الأميركية المعادية للشعوب».

تحيّة من القلب لكل طالب وطالبة، وأستاذ وأستاذة، خرجوا في ساحات جامعاتهم رافعين قبضاتهم وحناجرهم ولافتاتهم متضامنين مع سكان غزة من أطفال ونساء ورجال يتعرضون كل يوم لخطر الموت من الآلة العسكرية أو من العطش والجوع.

«قِناع بلّون السّماء» لباسم خندقجي

لحظةَ تمزيق الهويّة الصهيونية

حميد الملا

«أنا أكتب رواية تاريخيّة عن مريم المجدليّة .. وبيئة الرواية هنا في هذا السهل وقرية اللجُّون المهجّرة. ولا يمكنني الوصول إلى هنا بحرّيّة مستخدماً هويّتي الفلسطينية، فانتحلتُ هويّة صهيونيّة». هذا ما قاله الراوئي الأسير الفلسطيني باسم خندقجي والمحكوم عليه بثلاثة مؤبدات وهو يقبع اليوم في سجن (عوفر) في روايته (قِناع بلون السّماء). لقد اختصر ما أراد قوله بشكلٍ مكثف، ليتحفنا بأروع ما يتوصل إليه المخيال من فن روائي ومن إحساس نابعٍ من قلب الحدث والمعاناة اليومية مع دولة بنيّ صهيون العنصرية.

باسم خندقجي

غلاف الرواية

يقول أيضاً «دعني أزفّ لك نبأ نجاحي باختراق السور الدفاعيّ الصهيونيّ الأول «طبعاً لن يحدث هذا الاختراق إلاّ بما توصل إليه من حيلة تتمثل في حصوله على هوية بالصدفة لأحد الصهاينة واسمه أور شابيرا ليستخدمها بدلاً عن هويته الفلسطينية والتي تحمل اسمه الحقيقي نور مهدي الشهدي.

نور بولادته ماتت أمّه نورا وهي في سن لم تتجاوز العشرين من عمرها، قضت بعد إنجابه بلحظات متأثرت بنزيفٍ حاد، واعتقل والده بعد زواجه بأسابيع ليعود الوالد من السجن بعد «خمسة أعوام مخذولاً مُختلّا صامتاً مصموتاً» ليظلّ تحت رعاية جدّته سميّة التي زوّدته بحكايات بلدته اللدّ وأمّه نورا.

يلجأ لصديقه مراد ليخفف عنه توّحده وصمته، إلا أنّ مراد يُعتقل ويحكم عليه بالسجن المؤبد ليعود نور من جديد لتوحده، كما أنّه قد خسر المنحة الدراسية التي حصل عليها لرفض والده وبشدّة استلام أية مبالغ من سلطة لم تهتم له ولا لعائلته أثناء أعتقاله «ما خذله هو النكران الجارف والجاحد بحقّ أسرته الصغيرة المكوّنة من أمّه وطفله اليتيم طيلة سنوات أسره، وحكمه الجائر القاضي بخمسة وعشرين عاماً في السجن قضى منها خمساً، خذله أصدقاؤه ورفاق دربه في النضال والانتفاضة الذين انشغلوا بأبّهتهم الجديدة التي تراقصت فوق مائدة السلام المختل وسلطة الوهم والحيرة». والمقصود هُنا سلطة رام الله بعد اتفاقية أوسلو المُذلة.

التفكير في الخروج من مأزق حياة المخيم التي لا يرى فيها جديداً ليتسائل نور: «هل سيغدو المخيّم بعد سبعين عاماً أو أكثر من أكبر المواقع الأثريّة التاريخية في العالم الدالّة على عمق عقلنة التوحُّش الإنسانيّ؟»

للخروج عن مألوف هذه الأوضاع يلوذ إلى شغفه بالآثار، وهو الذي كان دافعه دراسة التاريخ والآثار، واتته الفرصة إذن حين أمّن له أحد متعهّدي العمال من فلسطينيّ القدس المحتلة عملاً لمدة أسبوعين في موقع آثاري غرب القدس.

من هنا يبدأ في تقصي أحوال البلدات والقرى المحتلة من قبل الكيان الصهيوني من خلال استخدامه لتلك الهوية المزوّرة، وعلى الرغم من خطورة اكتشاف أمره، صمم على هذه المهمة وجازف بحياته للوصول إلى مستوطنة مجدو التي لم تكن سوى أنقاض قرية اللجُّون المنكوبة والتي استولى عليها الصليبيون ثم استرجعها صلاح الدين عام 1187 م وهي "بلدة خصبة، ويانعة، ومليئة بالينابع العذبة"، وفي سنة 1931، كان سكان اللجُّون يتألفون من 829 مسلماً و26 مسيحياً ويهوديين اثنين. تمّ قتل العشرات من أبناء القرية وتهجير بقيّة سكانها.

لا شك إذن من أن القناع الذي استخدمه نور من خلال أور شابيرا أتى بنتائج مبهرة في كشف حقيقة زيف الاحتلال الصهيوني في تزييف الحقائق باستخدامهم للتوراة في اسباغ تسميات يهودية على أماكن وبلدات وقرى فلسطينية. وما سهّل لنور للقيام بمهمته هذه شعره الطويل المجعّد والعينان الزرقاوان واللغة العبرية ذات اللكنة الأشكنازيّة، فإذن "ملامحه ولغته العبريّة المتقنة كفيلتين بمروره الآمن إلى مقاصده الأثرية التاريخية الخاصة ببحثه عن أصول وأقدار مريم المجدلية".

ما يُميّز هذه الرواية هو القيمة الفنية التي أجادها الكاتب ببراعة في خلق حوار بين نور وقناعه أور:

– "هل ستفضحني يا أور هل ستقول لهم: إنّني لاجئ فلسطيني؟

– لا أعلم دعنا ندخل الآن.. فأنا متحمّس للغاية لخوض هذه اللعبة".

بدأت اللعبة بدأت كما يقول نور الفلسطيني لقناعه أور الصهيوني منذ أكثر من سبعين عاماً .. "حين زرع أجدادك هذا الجبل بالجثث والأشجار لإخفاء بقايا معالم قرية أبو شوشة التي هجّرتم أهلها وقتلتوهم إبّان نكبة 1948".

والحوار يستمر بين نور وأور ليؤكد الأول للثاني بأن انتحاله للهوية سيمنحه كلّ البيانات ليسهل له التعرف على البلاد التي سلبتمونا إيّاها، "أنا أريد أن أدركك لكي لا أصير مثلك.. أريد أن أستخدمك لكي أتحرّر منك". بتلك البطاقة المزوّرة يصل نور أو أور من خلال البعثة الآثاريّة التي انضمّ اليها وبعد اجتيازه للحواجز الأمنية إلى مستوطنة مشمار هعيمق، ليقول "إنها المرّة الأولى التي أدخل فيها إلى مستوطنة، فأنا الآن في عقر الكيبوتس .. أقصد المستوطنة".

يفاجأ نور والمقصود هنا أور بوجود فتاة فلسطينية ضمن البعثة، سماء إسماعيل من حيفا وتعرّف نفسها لبقية أفراد البعثة، بأنها طالبة دراسات عليا في حقل الآثار، من هذه البلاد ولم تقل من إسرائيل. "جاءه الصوت الأنثويّ المبحوح من جانبه، انبعث عن يساره من فتاة مُتّشحة بحرير شعرها وملابسها السوداء، مسّت نخاعه بقشعريرة حادّة كادت تطيح به عن القاعة، كاد أن يغيب نور الشهديّ، أن يسقط من شدّة وطأة الاسم العربي الفلسطيني سماء إسماعيل من حيفا".

إنه القدر إذن كلاهما من فلسطين، ولكن لوجود القناع الصهيوني الذي ألبس نفسه به وأصبح أور لم يستطع التواصل مع سماء ليبوح لها أخيراً بأنه ليس يهودياً.. "أنا عربيّ مثلك".

لم تصدّقه. "هل تريد أن تلعب معي إحدى ألاعيبكم القذرة ؟، أنا أعرف تماماً أنّ عناصر الشاباك يتقنون العربية". الحوار الذي دار بينهما انتهي لعدم تصديقها له بأنه نور وليس أور، الا أن الرواية تنتهي بخلع القناع وتمزيق الهوية الصهيونية، ويخرج هاتفه من جيبه ليعيد برمجته إلى اللغة العربية لتأخذه سماء إسماعيل بسيارتها بعيداً عن الصهاينة بعد أن صدّقت روايته "اصعد أيُّها المجنون. لقد صدّقتك. صدّقتك بالأمس فقط .. ولن أتركك وحدك في هذا الطريق، فالبلد كلها اشتعلت".

رواية رائعة متقنة الصنعة، أخذت جانباً مهماً من معاناة الشعب الفلسطيني، وهو الجانب التاريخي من خلال التنقيب عن الآثار لفضح السرديّة الصهيونية عن كذبة إسرائيل في حقيقة وجودها، مما زعزع أركان سرديتها بهذه الرواية، فتأهل وبجدارة لجائزة BOOKER العربية.

رواية مهمة تجعل القضية الفلسطينية شاخصة أمامنا حارة دافقة. طبعت للمرة الرابعة في هذا العام لما احتوته من معلومات عن فلسطين التاريخية وصار لها صدى قوي في الداخل الإسرائيلي مما زاد حنق الكيان الصهيوني على الكاتب.

قصة قصيرة

فراشات أنجومان*...

د.إلهام اسلامتي

منحتني النظرة إلى عينيها السبيل إلى أفق بدون سماء، كانت نظراتها ذلك الأفق الذي لم أصله يوما إلا من خلال سؤال الكينونة و الوجود، سؤال الحياة سؤال الحضور المتأرجح بين الحياة والموت...
لا أبحث في مقامي هذا عن جواب شافي لكنني أستجدي من يأسي المستعصي أملا يستجدي بدوره نظرة تفاؤل من أحلام استحالت كوابيسا مذ أن تسللت يد الألم إلى معابر الروح .
روحها ، أم روحي أم روح الأمل التي لطالما دغدغتني بأناملها الحنونة، حنان أمي ...

حنان قلبها الرؤوم وعطفها الكاسح لمعامي ذاتي...
تسمرتْ نظراتها الحزينة على شجرة اللبلاب المظللة للبيت الطيني..
بيت صغير بني على مشارف القرية المطلة على وادي ورغة...
ينحدر الوادي من منابع أم الربيع في شكل مذيل كأنه أفعى ضخمة تسللت في عنفوان من بين الصخور الصلبة والرمال الطينية الهشة ...
أغرقت القوارير والأكياس على اختلاف ألوانها وأحجامها ضفاف الوادي في بؤرة مسحت جماله المستكين لمنسوب مياه منخفض والسبب ندرة المياه وشح الأمطار التي سلمت المنطقة لبؤس قميء كان المستفيد الوحيد منه بيوت نبتت كالفطر الأبيض على ضفاف الوادي، وأراضي سلمت أشجارها إلى الغَلَل الذي كان يغدق عليها بكرم بادخ...
كان جمال المكان يزيد مستواه كلما زاد منسوب المياه الذي يعلو بفضل التساقطات المطرية والثلجية، حيث تكنس هذه الأخيرة مخلفات الحيوانات النافقة والمتلاشيات التي تنوعت مكوناتها فيبين المكان عن شكله المشرق الجميل، شكل سرعان ما يلبس الوجه الآخر من العملة النقدية حينما تغضب الطبيعة ويغضب معها الوادي الذي يصل إلى ذروة ثورانه في فصل الأمطار الموسمية المباغتة حيث لا يكتفي هذا الأخير بتنظيف ضفافه من الأزبال والقاذورات وإنما يأخذ في طريقه كل ما يصادف أمامه من شجر وحجر وإنسان...
هذا دون أن ينسى الشكاك التي قضمت من أراضيه مساحات كبيرة...
كانت عادة الوادي في ذلك حتى يثبت للساكنة ولكل من تطاول على تاريخه و جغرافيته بأن للمكان حرمة يجب مراعاتها.. .
وسط هذه الطبيعة المتقلبة المزاج، راحت الفتاة تستعيد ذكريات تاريخ عمر لم تطفئ شمعته الواحدة بعد العشرين، وتقلبات جغرافية أحاسيسها التي أصابها الجدب بفعل أسباب التعرية .
تلك التعرية التي جاءت قبل أوانها...
تعرية غيرت معالم روحها بفعل الرياح الهوجاء والعواصف العاتية التي هبت على زواجها فأحالتها زوجة مع وقف التنفيذ...
امرأة مسلوبة الارادة تاهت بين عتمة النور ونور العتمة، وطفلة في حزنها الباذخ لم تعرف بعد الطريق إلى النضج النفسي بسبب قلة تجاربها في الحياة ، تجارب كان من شأنها أن تعزز ثقتها بذاتها وتهبها القدرة على فهم أناها ومقارعة الآخر بعيدا عن كل المزايدات والتنازلات والمثبطات المادية والمعنوية...
وقفت إخلاص بئيسة ، يائسة متحيرة تنظر إلى شجرة اللبلاب الواقفة في صمود وعنة أمام الأمطار الطوفانية والرياح الموسمية والعواصف الرعدية التي لم تنل من عنفوانها وصمودها...
كانت تعرف أنها شجرة صلبة أمعنت عروقها وتغلغلت في عمق الأرض، لذا كانت تحاول أن تستمد منها ومن نظرات طفلتها التي لم تبلغ بعد سنواتها الأربع القوة على مواجهة و مقاومة جحافل الأفكار المستسلمة لكمد أرخى بكل ثقله على روحها المرتمضة بسوء المعاملة وجور الأعراف التي منحت للذكر حق الوصاية وتقرير المصير...
استعادت الحسناء بأسف شديد ذكريات اليوم المشؤوم.... اليوم الذي تسلل فيه ذلك الغيهب إلى حياتها قصد الزواج من قاصر لم تكن قد بلغت بعد السن القانوني للزواج...
قاصر لم تخلع عنها بعد ثوب المدرسة الذي احبته أكثر من أي ثوب آخر...
بينما كانت الفتيات في مثل سنها يتوهمن حالمات بثوب أبيض يخلصهن من حياة البؤس والشقاء التي يكابدنها في بيوت أباءهن خصوصا في البوادي والقرى التي تفرض على الفتاة أسلوب حياة مجحف وظالم...
أسلوب فيه ما فيه من التمييز الجنسي بين الرجل والمرأة بما أن هذه الأخيرة خلقت في اعتقادهم لتعيش تحت الوصاية الذكورية للأب و الأخ و الزوج... وصاية بضمير المذكر الذي بات لا ضمير له في أغلب حالات الطلاق، بحيث يتنصل الزوج من التزاماته الدينية والاجتماعية والأخلاقية بدعوى قصر اليد ومحدودية الدخل والإمكانات ، فتصبح المرأة المعيل والمربي والمسؤول الوحيد عن عائلة جمعها رباط قدسته السماء ولعنته شياطين الأرض.
كانت حياة إخلاص أشبه بزير ماء يروي ظمأ الآخرين، بينما تظل هي متلهفة لقطرة ماء تطفئ بها ظمأ أحاسيسها، وتروي بها عطش جسدها الذي أصبح مجرد آلة للتفريخ والعمل...
جسد نما وجفت عروقه قبل الوقت...
تماهى أساها مع ذكريات مضت وأخرى كانت تحلم فيها بتحطيم تلك القيود و ذلك القفص الذي قالوا عنه قفصا ذهبيا...
قفصا دخلته مرغمة وخرجت منه ذات مساء عاصف...
كانت شجرة اللبلاب المظللة للبيت الطيني شاهدة على مصير فراشة أخرى من فراشات هذا الكون الفسيح التي اختارت الانعتاق والتحلل من لعنة الأرض، فضلت الانسحاب بهدوء بدل مواجهة ذلك الوضع الشاذ الذي سلبها آدميتها وإنسانيتها وتركها عرضة لعوامل التعرية والجفاف...
«سيان عندي إن تكلمتُ، أو ضحكتُ أو متُّ.
في عزلتي، العميقة، الحزينة، الموحشة،
كأني ولدت للعدم،
وفمي لا بد أن يبقى مغلقا.
ها هو الربيع يا قلبي...
ها قد جاء وقت الفرح...
كيف أحلق بجناحي المهيض؟
كنت صامتة لفترة طويلة،
لكنني لم أنس الألحان أبدا...
في كل لحظة أهمس بالأغاني التي في صدري...
أمني نفسي في اليوم الذي أحطم فيه قفصي...
وأطير بعيدا عن عزلتي وأحزاني.. «
نادية أنجومانر*.

هامش

* نادية أنجومان هي شاعرة أفغانية ولدت في هرات سنة 1980، كانت طالبة موهوبة لكنها حرمت من التعليم هي والعديد من بنات جلدتها بسبب وجود حكومة طالبان في السلطة التي حاربت تعليم المرأة وقُيدت حريتها بشكل كبير. تلقت انجومان محاضرات من أساتذة جامعة هيرات تحت ستار تعلم الخياطة واستطاعت وهي في سن السادسة عشرة أن تجد الصوت الذي سيأسر آلاف القراء حيث أصدرت مجموعتها الأولى» زهرة من دخان» سنة2002، وكان من المقرر أن تنشر مجموعتها الثانية سنة 2006 «وفرة من القلق»، لكنها قتلت على يد زوجها الذي اعترف بضربها وأدين بقتل أنجومان، ورغم ذلك أخلي سبيله بعد شهر واحد من الحادث بسبب ضغوطات مورست على الأسرة من شيوخ القبائل.

فيلم (قتلة زهرة القمر)

ما يزال القتلة أحياء وقد وصلوا غزّة

زهرة القمر هي الزهرة البيضاء التي تنمو في ولاية أوكلاهوما، حيث الموطن الثاني لسكان قبيلة (أوساج) الهندية، وهم من السكان الأصليين الذين تمّ طردهم من منطقتهم في ولاية ميسوري إلى أوكلاهوما، ولكن الصدفة التاريخية أعطتهم ثروة البترول في أرضهم الصخرية الجديدة مما أربك الرجل الأبيض وراح يؤسس العصابات التي دخلت هذه الأرض واستغلت الثروة الجديدة تحت شعار التنمية لتحسين حياة الهنود، فأدخلت أبراج الحفر وقاطرات حمل الذهب الأسود إلى المنطقة، وهبّت العمالة البيضاء وأثرياء الدولار وخدمهم وثقافتهم إلى المنطقة فأخذوا يسرقون الكثير ويتركون الفتات لأصحاب الأرض الذين استسلموا لظروف الجهل وغياب التعليم والإرادة السياسية وعلوم الاقتصاد والتكنولوجيا، ويتحوّلوا إلى مستهلكين كسالى غير منتجين يتركون كل العمل والإنتاج بيد الأجانب الواردين إلى أرضهم، ويصرفون حفنة الدولارات التي بيدهم على اقتناء الكماليات ووسائل الراحة وخدم المنازل. فتاريخياً من يعيش برفاهية يبرز لعيون الحسّاد فتبدأ الأحاديث عنه وتتطور إلى مؤامرات لإبعاده عن الثروة والاستيلاء على ماعنده من دولارات وثروة وأرض.

والفيلم يستعرض هذه الحكاية التي تكررت في التاريخ لمرات ومرات، حتى وصلت قبل قرون إلى أمريكا فغزاها الأوروبيون وطردوا سكانها الأصليّون ولازالت الحكاية تتكرر منذ عقود في مناطق الهنود في كندا وأمريكا اللاتينية إلى أن وصلت إلى فلسطين، واليوم في غزّة تحديداً، فيرد الكيان المحتل على المقاومين بتفجير المستشفيات والبيوت والمدارس ودور العبادة وتتم تصفية المناضلين ويجلب الغرباء من أراضي بعيدة ليوّطنوهم في أرض فلسطين.

إنّ زهرة القمر تنمو في أواخر الربيع وقبل حلول الصيف، كما أن لونها هو الأبيض ولا تتفتح إلا بعد مغيب الشمس مما يضفي الغموض والرومانسية عليها، ويرمز هذا إلى استقرار شعب (الأوساج) في الأرض الجديدة وحبه للجمال والسلام، أما القمر فهو من يحفظ الأسرار ولا يتغير. إنه صديق الفلسطينيين وأهل غزّة. إنه إطلالة النصر الليلية التي لا بد أن تأتي لتحرر المظلومين.

الفيلم تأليف الكاتب الصحفي ديفيد غران، وكتب السيناريو اريك روث ومارتن سكورسيزي (الذي أخرج الفيلم)، وقام بالبطولة ليلي جلادستون وروبرت دي نيرو ولينادرو دي كابريو (الذي أنتج الفيلم أيضاً).

في بداية الفيلم هناك لقطة لشيخ قبيلة الأوساج، وقد رفع غليوناً أمام الحاضرين في اجتماع قبلي يطلب من الآلهة والأرواح حماية القبيلة من شرّ أخلاق البيض، ووصف حال القبيلة بالتفكك بسبب شرور الأموال التي دخلت عليها من ثروات الأرض وتسببت في تفكك شبابهم وتبنيهم ثقافة البيض المدمّرة لعاداتهم وتقاليدهم، ويرمز (الغليون) إلى الاتحاد بين رجال القبيلة فقد كان هو الأداة التي تجمعهم في مجالس تدخين التبغ المشهورة عند الهنود والتي تشاوروا فيها على الدوام في كيفية المحافظة على كياناتهم.

ثم تأخذنا الكاميرا إلى المدينة الحديثة في أوائل العشرينات، التي بنيت من قبل البيض لتكون مركزاً

للتسوق ووصول العمال البيض من كل مكان للعمل في البترول حيث بُنيت كل المنشآت الاستهلاكية والعصرية بما فيها البنوك والفنادق، واستبدلت الأحصنة بسيارات الأجرة الحديثة والخيم بالأسواق الحديثة التي تزورها نساء هنديات جميلات تبحثن عن شراء الكماليات والمتعة والخمر والتصوير الفوتوغرافي بثيابهن التقليدية أو موديلات النساء البيض ليشارك الهنود الغزاة البيض في الحياة العصرية الحديثة.

وسط هذا الازدحام حيث يبين لنا المخرج بأن الهندي المظلوم قد تحوّل بفعل ثروته من البترول إلى سيّد يعمل عنده البيض، فاقتبس منهم ما اقتبس من مظاهر اجتماعية وعقلية تجارية بعد أن ترك عادات وأفراد قبيلته وشيخها لتذهب مع الريح، ويُصوّر السيناريو كيف أن الإنسان بطبعه جشع وطمّاع ولديه حبّ التملك.

وتأخذنا الكاميرا لرواية القصة بأن أمريكياً (إرنست بوركهارت ويقوم بالدور ليوناردو دي كابريو) قد وصل للتوّ بالقطار إلى هذه الجنة الصغيرة بعد أن جُرح في الحرب العالمية الأولى وأصبح عاطلاً، بدعوةٍ من خاله الذي يملك أرضاً كبيرة لا يوجد بها بترول (ويليام هايل – ويقوم بالدور روبرت دي نيرو). هذا الخال يحبّ التملك وتوسيع رقعة أملاكه ونفوذه وهو نائب الشريف في المدينة ولكنه يملك الشريف والقانون بيده، وتمتد شراهته ليحاول تملك المدينة كلها ليطرد أو ويقتل الهنود فيطلق عليه (الجشع ذو الشهية اليهودية).

في أول لقاءٍ بين الخال الجشع وابن أخته، يسرد الخال عليه كيفية التعامل مع الهنود وتجنّب المشاكل، كون ابن أخته مجرماً من أصحاب السوابق في عالم الجريمة فيقنعه وينصحه باستغلال العلاقات الغرامية مع الهنديات من أجل الاستيلاء على أموالهن. (ابن الأخت) يمضي إلى المجتمع الجديد ويعمل كسائق أجرة ويتمكن من التعرف على هندية تأخذ قلبه (مولي – وتقوم بالدور ليلي جلادستون) فتتغير علاقتهما من علاقة سائق وسيدته إلى سائقٍ تغرم به سيدته ومن ثم يتزوجها بإيعاز من خاله لكي يتمكن من وراثتها في حالة وفاتها وخاصة وأنها تعاني من داء السكري مثل باقي الهنود من قبيلتها، ذلك الداء الذي قضى على مجاميع منهم بسبب عدم اكتشاف الدواء.

تمضي الأحداث وتُقتل أخوات مولي ليرثهم أزواجهن البيض، وتموت والدتها بسبب السن والمرض، كما يموت عدد من أبناء قبيلتها في حوادث غامضة بطلقات نارية ولا يتحرك لا الشريف ولا نائبه للتحقيق فيها. ويبدأ المجرمون الذين يستأجرهم الجشع (ويليام هايل) بالانقضاض على الهنود الاثرياء ويقتلونهم في حوادث متفرقة لتؤول ثرواتهم وأرضهم للرجل الأبيض أو (ويليام هايل). ينتبه مجلس الهنود وأعيانهم لكل ما يجري ويجتمعون مع الرئيس الأمريكي في وفد تمثلهم فيه (مولي)، فتبعث الحكومة بمحققين من الشرطة الإتحادية (إف بي آي(ويتتبعون الجناة ويصلون إلى رأسهم. أثناء هذه التحقيقات يقرر (ويليام هايل) مع شركائه من أصحاب البنوك والفنادق والشركات في البلدة قتل (مولي) وكل من يتكلم مثلها كما أنهم يعينون أفضل المحامين للدفاع عن ممثلهم نائب الشريف (أحداث تشبه الديبلوماسية الأمريكية في الشرق الاوسط لحماية ركيزتها إسرائيل والدفاع عن مصالحها البترولية). وهنا يبدأ الصراع على قتل (مولي)، رمز المقاومة، من قبل شريكها بواسطة سمّ بطيء على شكل دواء للسكري فتتدهور صحتها وتعلم بأن زوجها يسعى لقتلها من خلال الدواء، ولكنها تصبر على مصيرها من شدّة حبها له (وهذا هو التناقض في قصة الفيلم فكيف يمكن لشخص يعرف أن شخصاً أخر ولو كان زوجهً يسعى لقتله لكنه يصبر عليه في سبيل أن لا يدّمر علاقة الحب معه – وهذا التناقض يذكرنا بموقف بعض المستوطنين اليهود في فلسطين حين يتعاطفون مع الفلسطينيين ويظهرون ذلك، لكنهم في نفس الوقت يبنون المستوطنات على أرضهم ويطردونهم منها) !!. تستمر أحداث الفيلم وتقبض الشرطة على المجرم الرئيسي وزوج مولي وتغفل دور الآخرين ليبقوا يستغلون الأرض ويطردون أهلها بأشكال أخرى، وتتحسن حالة (مولي) رمز المقاومة ويموت أحد أبناءها بينما يبقى الآخر كرمز لبقاء شعبها.

وهنا يعطي المخرج في حركة ذكية بعض الدور للحكومة الأمريكية في حلّ القضية وردع هذا الظلم هرباً من المراقبة الأمنية في هوليوود، والتي انخدع بها العالم سابقاً لتظهر على حقيقتها فيما يفعله الإعلام الأمريكي هذه الأيام بشأن كبت وقمع كل إعلام يقف مع غزّة والقضية الفلسطينية. فيلم بالمصادفة يعدّ إسقاطاً لكثير مما يجري في الشرق الأوسط وفلسطين وصولاً إلى الضفة الغربية وغزّة.

يا كوكبنا الحزين: نحلنا مع أغنياتك وصرنا مثل الناي

من كان يتابع صفحة الفنان كوكب حمزة في هذا الفضاء الأسود، سيعرف مدى جرحه ونزيفه اليومي، لما حدث لعراقه ووطنه العربي الجريح، سيعرف من خانه، وليس آخرهم صديق عمره وبصرته، كوكب كان ينزف في غربته، في غرفته الصغيرة في آخر العالم، وهو الذي قال، ما أصعب أن تعيش في منفى ويمكن أن تغادره كقطة تتعفن في مكانها دون أن يعرف عنك حتى جارك، إلا من خلال رائحة الموت.

وفي أغنيته "وينك ليش"، كان يسأل عن وطنه: "وينك يا وطن ..وينك يا وطن/ يبقى العمر مذبوح درنا الدنيا كلها وين بعد نروح". أغنية جريحة كحنجرته، مُبكية هي الأغنية وجارحة، وصوت المناجاة هنا يصعد عالياً، كما هو الحال في مجمل أغانيه، كأغنية "نحبكم والله نحبكم"، و"الكنطرة بعيدة"، وغيرها من الأغاني التي اختار نصوصها بدمعٍ تشبه دمعة قلبه.

حمد الصبحي *

كوكب حمزة حالة متندرة في اللحن منذ أن سمعناه في أغنيته الأكثر شهرة "ياطيور الطايرة"، التي عرفتنا أيضاً بمطرب عراقي إسمه سعدون جابر، حلقت هذه الأغنية على رؤوسنا وحلقت في السماء العربية، واعتبرت حينها مايشبه البيان السياسي لمرض العقول السياسية، الطيور كانت تسأل عن ناسها المغتربين في أوطانهم، تسأل عن أحوال الناس المقهورين، المسجونين، وبين السماء والشمس كانت هي الحكاية، أغنية تنحاز لهواء الناس المصادر، هكذا هو كوكب حمزة يبحث عن الناس في كل أغنياته، فمن يقترب منه، تجد ثيمات السؤال الوجودي/ الغياب/ المرثية /الهواء/ البساتين/ البنفسج /الطيور/الماء ألخ، ثيمات التصقت به وبوجوده، فهو يلحن ليخرج الكلمات، ليوصلها إلى الناس، الناس هاجسه الأول، أغنيات خلدت مكانها، لحناً وكلمات، فتحت شرايين عيوننا بدمعها الحارق، كتبت لنفسها أن تعيش غربتها، وهي جريحة الماء العذب جداً.

نسمع أغنيات كوكب حمزة بصوته الشجي المذبوح بالغربة، غربة وطن يحمل ثراء طينته ونخيله، يخرج صوته كنهري دجلة والفرات لعذوبته وحنينه وقهوه وحزنه وجرحه الكبير الذي يفيض عن وجهه، صوت تستسلم له الأذن، يأسرك بدندنة عوده المعتق بماء الزمن والجرح، كوكب يسبق ظله، وكأن أمه كانت تتنبأ ليكون كوكب العراق الجريح، نفض حزنه، وحزن العراق الغريق بالدمع، ونفض حزن الأمهات والصبايا وكل عراقي مغترب في ما قدمه من أغنيات مذ خطواته الأولى وهو يلامس الحلم في أن يكون، فكان كوكباً مضيئاً للأغنية العراقية.

* كاتب من سلطنة عمان

كوكب حمزة ودّع طيوره

في تلك القرية الكردية النائية والمجهولة في كل الخرائط والتي تسمى (كويلان) وفي سبعينات القرن الماضي، يوم لم اكن اعرف كلمة كردية واحدة ، ولا يعرف سكان (كويلان) الكرد، كلمة عربية واحدة؛ وفي مقهى شعبي هناك يتجمع اهل القرية لمشاهدة البرامج التلفزيونية بالابيض والأسود.

في ذلك المكان والزمان تعرفت لأول مرة على الفنان الراحل كوكب حمزة، ذلك الملحن الكوكبي الذي ينتمي الى جذور كردية ويقرأ ويفكر ويكتب ويلحن بلغة عربية.

اذن .. في قرية (كويلان) تمكن كوكب حمزة ان يقربني إلى الكرد .. قرب هذا المعلم العربي الذي كان يتحدث العربية لوحده.

حسب الله يحيى *

اخذ سعدون جابر يغني (يا طيور الطايرة) بلحن كوكب حمزة وكلمات زهير الدجيلي.

في هذه القرية بكيتُ طيورَ وآلام وغربةَ كوكب حمزة .. والبكاء صحبة الفن عافية، كما يعني ان الفنان قد تمكن من المتلقي واثر فيه وترك بصماته عليه وهذا ما كان مع تلك الطيور التي كانت تحمل رسائل عذبة من روح هذا الكوكب المضيئ .

وعندما جاء خبر رحيل هذا الكوكب في بلاد الغربة (الدنمارك) كانت طيور هذا الكوكب تملأ روح العراقيين عذوبة حزينة.

هنا حل الكوكب حمزة في الزمان والمكان فيما كان جسده يتجول في بلدان كثيرة بعد ان كانت السلطة تلاحقه بوصفه عراقيا مبدعا حاملا ألحانه: يا نجمة، ابنادم، وين يلمحبوب، تانيني، يا صاحبي، النطرة ... وسواها من الالحان .. ولأنه فنان اصيل لم يكتف بمنجزاته الفنية وانما التحق بالانصار الشيوعيين مقاتلا ضد السلطة الدكتاتورية عن طريق جبال كردستان .. كان مناضلا ملتصقا بفكره التقدمي وانتمائه الماركسي .

كان الكوكب حمزة على مدى عمره المديد (1944ـ2024) متفردا في حياته وألحانه، كان راسخ المبادئ، حاملا معه كل جذور الوطن اين ما حل.

* كاتب من العراق

«أمشي وأكَول أوصلت والكَنطره ابعيده»

كوكب حمزة الذي طاف بنا المحطّات

نصير جابر *

في ليلة شتوية قارسة جدا عام 1991 ونحن نلوذ من البرد بمقهى صغير قابع في شارع فرعي يضجّ بالعمال المصريين والسودانيين، وبينما كان التلفزيون البائس المعلق على «ميز» خشبي صغير يعرض أغنية (ياطيور الطايره)، قال لي صديقي الوسيم: هل سمعت صوت كوكب حمزة من قبل ؟ فقلت له لا أبداً. أعرف إنّه ملحن لكن لا أعرف صوته ولا حتى شكله ..فقال وهو يحاول أن يصفه بدقة (شعره غزيز وملامحه حادة لكنه يمتلك عيوناً غارقة بالتأمل والجمال ...أما صوته فستسمعه غداً. ثم أضاف هناك صورة له في مجلة لبنانية سأجلبها لك .. وفعلا أعطاني شريطاً مسجلاً لا أعرف كيف وصل إلى العراق لحظتئذ، يغني فيه (ياطيور الطايرة) في جلسة خاصة تتخللها شطحات أشبه بتلك الشطحات العرفانية التي (تزعج) القلوب بحسب مولانا ثوبان بن إبراهيم (ذو النون المصري) . بعد سنة واحدة فقط عرّفت إن كوكب من القاسم المدينة التي تجاور المهناوية ولا تبعد عنها كثيراً، وإنه ككلّ جمال تام وحقيقي شيوعي ماركسي، وأن اختياره للأغاني لا يتمّ مصادفة !

في جلسه أخرى سيتهمني صديقي (ب) أنني أحمّل الأشياء فوق طاقتها وأبالغ في شحن النص بما ليس فيه .. وإن (الطيور الطايرة) مجرّد أغنية حلوة لا أكثر ولا أقل، حتى وأن كان كاتبها شيوعي كبير (زهير الدجيلي) وكانت تنعى هجرة العقول التي شردّها الطغيان الفاشستي وهي نشيد إنساني وعلامة لتلك الهجرة القسرية ..وأن (النطرة بعيدة) لا تحتوي تساؤلات وجودية عميقة وليس فيها إشارة واضحة للهدف الإنساني الأممي المنشود، حتى وأن كان كاتبها شيوعي مرموق (ذياب كزار) .

وفي مشهد ثالث في الكراج الوسخ حيث سيقف صديقي (ع) مودعاً حبيبته السمراء الممشوقة ذات الوجه الضاحك، وهي تغادر إلى الأردن يوم كانت طريبيل هي النافذة الوحيدة في السجن الغاشم العملاق "نكَرة السلمان"، عفوا أقصد العراق...كان أحد سوّاق السيارات الصغيرة قد فتح باب سيارته وغتكأ عليه بينما رفع صوت المسجل :

..

وصار العمر محطات

عّديتهن وماكو عرف

وكل العمر محطات ..

وخفت أسأل بلايه عرف!

ويا فشلة الملهوف ويدوّر هله أبمحطات

غرقت تلك السمراء التي علّم حبّ الشباب خدودها بآثار محبّبة ..غرقت ببكاء مرّ وهي تلوّح لصديقي الذي أجهش هو الآخر بدمع استدرجته تلك الأغنية التي بدت كمعادل موضوعي حرّاقٌ للوحة الفراق الموحشة.

وفي مشهد آخر ذات مساء صيفي وعلى بعد أمتار من ضريح الإمام القاسم يؤشر لي صديقي (أحمد) شارحا لي الطريق إلى بيت كوكب...بيته العتيق قبل يهجر المدينة إلى الأبد: "بس دمع ما مش صوت/ لا هي سنة وسنتين يا بنادم/ لا هي حسبة موت/ حسبة عمر عطشان والماي حدره يفوت».

وفي مشهد أخير وعدتنا مذيعة عراقية نهاية التسعينيات في هفوةٍ رقابية لا أعرف كيف مرّت عليهم ..وعدتنا بعرض لقاء مع كوكب حمزة ...لكن اللقاء طبعا لم يعرض ولا أعرف هل تعرضت المذيعة للعقاب: «الكَنطره ابعيده/ أمشي وأكَول أوصلت والكَنطره ابعيده".

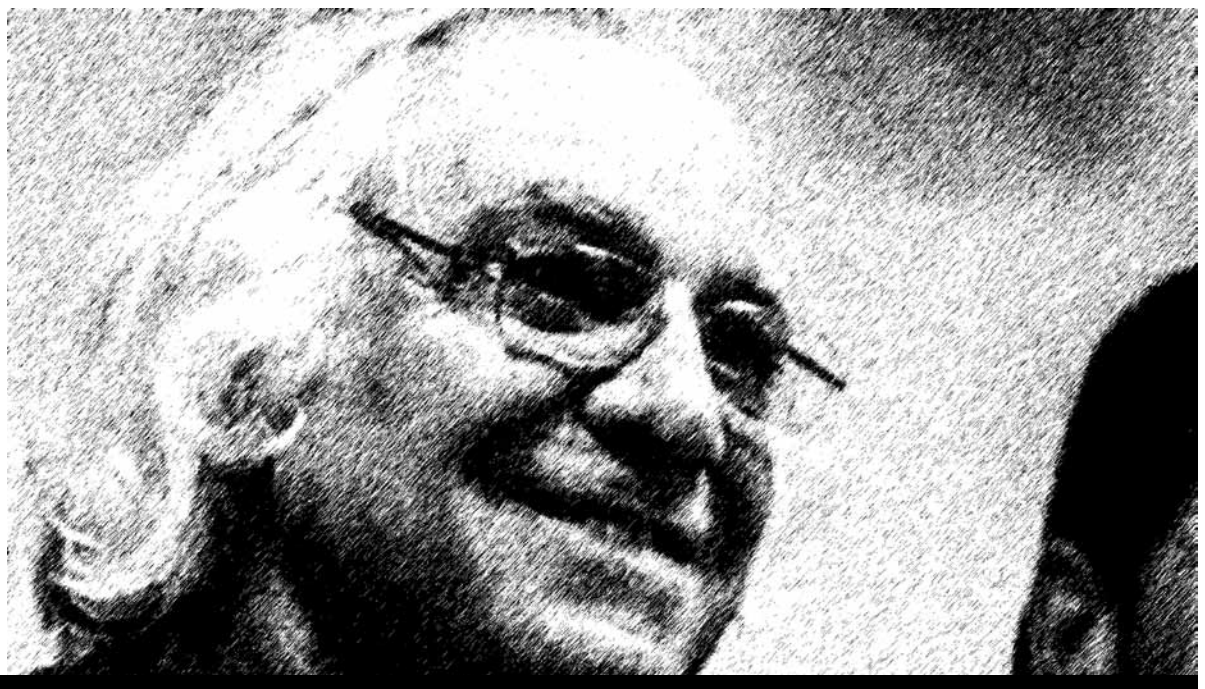

*كاتب من العراق

من كافكا إلى ماركيز .. الموتى يعودون ثانية!

فرانز كافكا

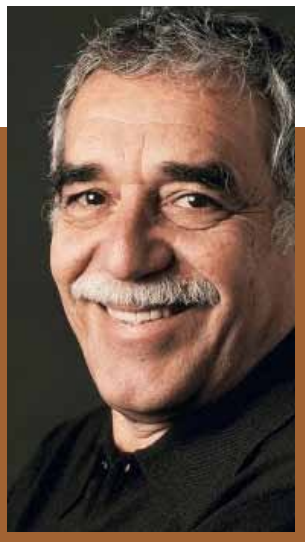
غابرييل ماركيز

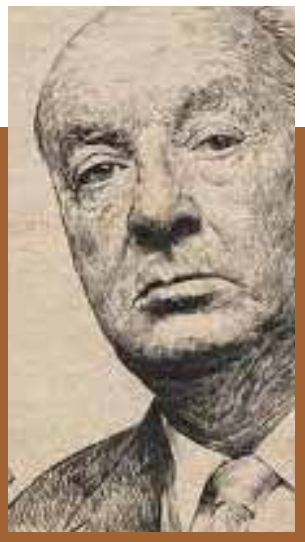
فلاديمير نابكوف

فرنسواز ساغان

«هنا –عزيزي ماكس– رجائي الأخير: كلّ ما يمكن العثور عليه في ما أتركه بعدي (أي في مكتبتي، أو في خزانتي، أو لدى سكرتيرتي، في المنزل أو في المكتب أو في أي مكان) ... من دفاتر ومخطوطات ورسائل شخصية أو غيرها. يجب حرقه دون قيود ودون قراءته». لا تزال هذه الوصية من فرانز كافكا إلى صديقه ماكس برود قبل ١٢٣ سنة تُسيل حبرا كثيرا، فقد أُلّفت حولها كتب ونُشرت مقالات لا تحصى كلها تحاول الإجابة على سؤال إشكالي: هل يحق للوصيّ أن يخالف رغبة الموصي بعد وفاته إذا ارتأى أسبابا موجبة لذلك؟ وبعيدا عن هذه الصياغة القانونية الجافة للسؤال يمكن طرحه في موضوع كافكا بالشكل التالي: هل كان ماكس برود محقّا في نشر كتب كافكا ويومياته رغم وصيته بحرقها؟

د.بروين حبيب

رغم الاعتبارات الأخلاقية التي تعتبر نشر ماكس برود لكتب كافكا فعل خيانة ومخالفة لرغبة مكتوبة وموثّقة من صاحبه غير أن القيمة الأدبية العالية لروايات «المحاكمة» و«القلعة» و«أميركا» –التي بدونها نستشعر نقصاً كبيراً في فهم المشروع الكافكوي الأدبي– جعلت كثيرا من قرّاء كتابات كافكا والنقاد يغضون النظر عن ذلك ملتمسين أعذارا كثيرة لبرود فهو صديق كافكا المقرب وأعلم الناس إن كان يوم أوصى بحرق كتبه في مزاج سليم يؤهّله لقرار كهذا، ثم إن برود نفسه كاتب ناجح غزير الإنتاج يستطيع تقدير القيمة الفنية لمخطوطات كافكا التي بين يديه وكونها تشكل إضافة إبداعية لأدبه كما بيّنته بتوّسع بديعة أمين في كتابها « هل ينبغي إحراق كافكا؟»، ويكفي أن نذكر جملة شهيرة لميلان كانديرا في كتابه «الوصايا المغدورة» يثمّن فيها ما فعله ماكس برود وإن كان يعيب عليه تأويلاته للنصوص الكافكوية «لولا برود، لما كنّا نعرف اليوم حتّى اسم كافكا».

وهذا الجدل القانوني والإنساني والأدبي يطفو على السطح كلما صدر كتاب جديد لكاتب متوفّى بين مؤيد ورافض ومنكر أن ينسب العمل إلى الكاتب الميت، وهذا المعنى نجده حتى في المصطلح الغربي الذي يصف هذه الحالة، فلفظة (posthumous) الإنجليزية ذات الأصل اللاتيني تعني الكتاب الذي صدر بعد وفاة مؤلفه كما تعني في أصلها الطفل الذي وُلد بعد وفاة أبيه، وكم من حالة شكّك فيها الآخرون في صحة نسب الولد، مثلما هو الوضع تماما في مجال الكتب.

وإذا كنا نجد بعض العذر في نشر كتب كافكا بعد أمره بحرقها فلأنها كانت مكتملة قد أنهاها كاتبها قبل وفاته، ولكن الإشكال يكبر في حالة المخطوطات غير المكتملة ومسودات الكاتب، فمن سنة 1977 مثلا إلى أكثر من ثلاثين سنة بعد هذا التاريخ كان عشاق الأدب عامة وروايات صاحب «لوليتا» الروائي الروسي فلاديمير نابوكوف خاصة بين مد وجزر حول رواية تركها غير مكتملة في بطاقات مكتوبة بقلم الرصاص، وكان قد أمر بحرقها هو أيضا، ولكن أرملته فيرا لم يطاوعها قلبها بتنفيذ وصية زوجها فتركت البطاقات في علبة حتى وفاتها سنة 1991، وحين ورث ابنه دمتري أصول هذه الرواية غير المكتملة وعنوانها «أصول لورا» أودعها في قبو بنك وعاش صراعا كبيرا بين أن يحرقها، وبخاصة أن هذه رغبة والده وقناعته التي عبّر عنها مرة في رواية «حياة سيباستيان الحقيقية» أول رواية كتبها بالإنجليزية حين يصف شخصية كاتب يوصي أخاه أيضا بحرق مسودات كتبه فيكتب نابوكوف «هذا النوع النادر من الكتّاب الذين يعرفون أنه لا ينبغي أن يبقى شيء سوى الإنجاز المثالي»، وبين أن ينشرها وهو مترجمُ كتبِ والده والعارف بنقاط قوتها فقد وصف الرواية غير المكتملة في أحد لقاءاته الصحفية بأنها «التقطير الأكثر تركيزا لإبداع والدي»، وفي الأخير وبعد تشويق كبير ساهم الصحفيون في تأجيج ناره بعناوين مثل «هل على ابن نابوكوف أن يهيّئ علبة الثقاب؟» خضع دمتري نابوكوف لشهوة النشر وذلك في سنة 2009، ولعل للمردود المادي من مسودة رواية كتبها والده قبل اثنين وثلاثين سنة دورا في ذلك.

وإذا كانت رواية نابوكوف نُشرت كما هي دون رتوش وهذا من أسباب عدم مهاجمتها من النقاد باعتبارها رواية غير مكتملة، فما حدث مع رواية «فرنسواز ساغان » كان أسوأ حظا من الناحية الأدبية. فهذه النابغة الفرنسية ابنة الطبقة البورجوازية كتبت روايتها الأولى «صباح الخير أيها الحزن» وهي في الثامنة عشر من عمرها ونالت من ورائها شهرة عظيمة ورغم أنها كتبت روايات عديدة بعدها، وبعضها ناجح مثل «هل تحبّ برامس؟» غير أنها بقيت أسيرةَ روايتها الأولى فلا تُعرف إلا بها، واختفى اسم ساغان تدريجيا من الساحة الأدبية لطبيعة حياتها المجنونة من ولع بالسياقة المتهورة وتعاطي المخدرات ولعب القمار وإدمان الخمور إلى أن توفيت سنة 2004 فقيرة ترزح تحت دَين كبير، وبعد خمسة عشر عاما من وفاتها ظهرت لها رواية جديدة بعنوان «أركان القلب الأربعة» أشرف عليها ابنها ووريثها «دونيس فستهوف» الذي سبق له قبل ذلك بسنوات أن ألّف كتابا عن أمه بعنوان «ساغان والابن» ورغم أن الرواية طبع منها 250.000 نسخة، وصدرت منها طبعة للجيب كتب الناشر على غلافها للترويج «نتعرّف بسعادة على

مرح (ساغان) ولا مبالاتها وأناقتها وإيمانها القليل»، غير أن مسار الرواية لم يكن ورديا كلّه، فدونيس كان قد عرض المخطوط على مدير دار نشر شهيرة فلم يقتنع به واقترح عليه إعادة كتابته. وطبّق الابن الاقتراح مع دار نشر أخرى، ورغم أنهما (الابن والناشر) هوّنا من حجم التدخل إلا أن صحفيين ونقادا تساءلوا: هل نحن فعلا أمام رواية جديدة لساغان؟ أم تجميع قطع بازل قام بها ابنها؟ وكانت نتيجة هذا العمل أن عادت أعمال الروائية الشقيّة إلى الواجهة فأعيد طبع كتبها، وسدّد ابنها مبلغ 1.200.000 يورو من الديون التي أورثتها له ساغان مع عائدات نشر أربعين رواية ومجموعة قصصية ومسرحية لها.

ولا أعتقد أن هذا الظهور المفاجئ لروايات الموتى – وأؤكد على الروايات باعتبارها عملا إبداعيا بنائيا – سينتهي يوما، ما دام المبدع يكتب والقارئ يتابعه، والضجة التي أحدثها قبل شهر صدور رواية «حتى أغسطس» لرائد الواقعية السحرية صاحب نوبل غابريال غارسيا ماركيز بعد عشر سنوات من وفاته تأكيد على استمرارية هذا النزاع بين مؤيدي النشر ورافضيه. وخاصة إذا عرفنا أن ماركيز أمر أيضا بإتلاف روايته التي بدأ الاشتغال بها منذ سنة 1997 وقرأ مقاطع منها بصوته في جامعة جورج واشنطن في ذلك العام، غير أن انشغاله بكتابة سيرته الذاتية ورواية «ذكريات غانياتي الحزينات» حالا دون الوصول برواية «حتى أغسطس» إلى صيغة يرتضيها بعد أن أعاد صياغتها عدة مرات كما تشهد بذلك مخطوطاتها الخمسة المحفوظة مركز «هاري رانسون» التابع لجامعة تكساس الأميركية التي اشترت أرشيفه الشخصي الكامل بُعيد وفاته. ولكن ولداه رودريغو وغونزالو قررا نشرها رغم أنّه قال لابنه الأصغر غونزالو أن الأولى بهذه الرواية أن تختفي، مبررين ذلك بأنهما على ثقة بأن أباهما سيسامحهما حين يستمتع بها القراء كما كتبا في مقدمة الرواية وأضافا: «لقد فكرنا لمدّة ثلاث ثوان هل هذه خيانة لوالدينا؟ لرغبات أبينا؟ وقرّرنا: نعم هذه خيانة، ولكن هذا ما يفعله الأولاد»، فهل هذه الحجج مقنعة؟ أم إنها ليست سوى مبررات تغطي من ورائها «جشع الورثة» كما كتب صديقي الروائي الراحل خالد خليفة قبل سنة عن الموضوع، وهذا رأي وجيه وخاصة إذا علمنا أنهما باعا حق الاقتباس التلفزيوني إلى نتفلكس لتحويل رواية والدهما الأيقونة «مئة عام من العزلة» إلى مسلسل، علما أن ماركيز كان يرفض كل العروض التي تقدم له لتحويلها إلى فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني، ولكننا حين نعلم أن منتجي المسلسل على منصة نتفلكس ليس سوى الأخوين رودريغو وغونزالو تتضح الحقيقة.

وما نخشاه أن يأتي علينا يوم – وما ذلك بمستبعد – يعهد ورثة روائي مشهور إلى تطبيق للذكاء الاصطناعي ليُتِمَّ رواية غير مكتملة لمورِّثهم بأسلوبه، فالجشع يريد المزيد دائماً .

«الحشاشين» بين الحكمة والدجل

بتول حميد

هيمنت شخصية «حسن الصباح» على فضول شريحة واسعة من متابعي مسلسل «الحشاشين» لمخرجه بيتر ميمي خلال شهر رمضان المبارك.

الصباح الذي كان يقود أشهر أفكار الفرق الباطنية، وهي مذاهب تدّعي أن للقرآن والسُنة ولكل ظاهر باطن مخبوء، يملك مكنونه أئمة حاضرين وفي حالة غيابهم مُتلقين عنهم.

رسمت الدراما التاريخية للأحداث علامات استفهام عديدة: من هو حسن الصباح؟ أهو فقيه جليل أم شخصية تحمل مدارك غامضة أم ثائر عنيف ومقاتل؟

يؤكد القائمون على العمل بأن المسلسل يستلهم التاريخ ولا يهتم بتوثيقه على نحوٍ تصاعدي، لذلك تستحضر السطور الآتية انطباع متواضع عبر كل الشواهد من عالم الدراما ذاتها، لا من الأطروحات التاريخية.

في البدء يظهر حسن كطفل استثنائي موهوب يمتلك نباهة وفراسة تحيطها الذهول والغبطة! كمس غيب خفي يستدير حول رغبة والدته في إلمامه بأسرار الحروف والأرقام ومناجاة القمر وهي مساورات لعلوم تتراوح بين السحر والباطنية والكابالا اليهودية.

يشدد «عبد الرحيم كمال» على هذا التأسيس السحري لمواهب الطفل وعلاقته بعوالم الخوارق عند سقوطه في بئر، ويحتاج للخروج منه لعقد صفقة فاوستية سيئة الصيت مع كيانات خارقة تورطه بعهد اختيار الظلام بدلاً من النور.

يرسم «عبد الرحيم كمال» لحسن ملامح فتية في صورة متعددة، كثائر سياسي ينبض قلبه بالنبل ويصبو لتغيير العالم مع أصحابه الذين اتفقوا على مساندة بعضهم مهما اختلفت مذاهبهم والقارب الذي سيصلوا من خلاله لصورة العالم التي أدركوها بقلوبهم. يمتلك «الطوسي» طموح المآرب السياسية ويمتلك رهافة الشعر «عمر الخيام»، بيد أن «حسن الصباح» لا تمن عليه أية ملكة ولا يظهر أثر لعهد الظلام القديم الذي استحوذ على طفولته.

شدّد المؤلف ‹›عبد الرحيم كمال‹‹ على رغبته باستعادة شخصيات سحرية في محيط السرد الدرامي بقدرات خارقة ولُغة صوفية مجازاتها رنانة تتأرجح بين الحكمة والدجل. توليفة فنية قادرة على خلق هالة منقذة أو مسخ مدمر، خرج منه «ونوس» الشيطان المضلل و ‹›عرفات‹‹ الولي الحامي في جزيرة غمام.

وهكذا بدت شخصية «حسن الصباح» شخصية هلامية أكثر تركيباً من شيطان أسود في عالم البشر أو ولي مؤيد أبيض من عالم الغيب. مما جعلها تتماهى الشخصية بإيماءة خيّرة وتعبير شرير لنرى تصاعد متناقض بعض الشيء بوصول حسن لطور الرجولة.

يُبايع الصباح الداعية الباطني «ابن عطاش» بأهدابه المعلقة بالدين وبفؤاد ينبض بصدق دامع ولا يتردد على نُصرة الإمام ودعوته سراً وعلانية ولكنه في اللحظة ذاتها يدعو تابعه لقتل مؤذن أصفهان الذي رفض دعوة الباطنية! فهل يؤسس للبطل الدرامي كمُتطرف دوغمائي حادّ أو كسياسي براغماتي يُحاول تشييد مكانته في عالم الدعوة الجديد الذي انتمى له؟

ينجح حسن في مط خفايا رؤيا لم يحضرها ويُظهر كرامات بخشوع منقطع النظير تسمح له بدخول قصر المُستنصر، وفي الوقت بعينه يدّعي كرامة كاذبة تُنقذه وركاب سفينته من غرقٍ محتوم بينما يلوح كتاب حركة الرياح حاضرا في المشهد، فهل يخلق البطل الدرامي كولي حقيقي يبصر الغيب أم كمسخ أرعن يُظهر للعيان علومه ف صورة خلابة لاستدعاء القلوب وألبابها؟

وندرك ذروة تراكب الشخصية الدرامية حين يُحاول صانع العمل حل العقدة المنسوجة بمفاتيح وتواترات درامية ومتذبذبة برؤيا سحرية يتوجه فيها الصباح بالزي الأسود ‹البراغماتي الدجال» لقتل الصباح بالزي الأبيض ‹›المؤمن الحالم» ليُبلغه بأن شدة إيمانه بالعدل أوصلته لهذا المطاف. ومنذ هذه اللحظة يتحوّل «حسن الصباح» من شخصية مشوشة بسلطات درامية هشة خطوطها إلى شخصية طاغية جوفاء تتنكر لمذهبها وتُعذب رفاقها ممارسة التقية السياسية، وتستميل العامة وتعادي العلماء.

يتيسر استلهام إسقاطات السرد الدرامي على الواقع الحالي، إذ يفرط في تأطير المُقاربات بينما يتساهل في شرح الحالة التاريخية المركبة مما يجعل المُتلقي العادي تائهاً في غمرة صراع تاريخي لم يُشرح بشكل وافي بالرغم من الاستعانة براوي في مستهل كل حلقة يوجز برتابة مهلهلة نوايا البطل وحيثيات رحلته. وتتجلى شخصية حسن الصباح الدرامية بارزة إلا لنفسها وإمكانياتها، شخصية لكاتب درامي بالغ في خلق شخوصه بهالة ضخمة مُستدعاة من عالم صوفي مموه بنبرة مفترضة.

هل أخلصت الشخصية لحقبة سياسية تسترجعها في قالب ذاتي لتأكيد فكرتها عن الإسلام السياسي؟ وهي الفكرة الأكثر خطورة وتركيب في كل عصر من تحويلها إلى تعويذة بمواصفات ثابتة؟ هل نجع المخرج في استخدام التقنية والدرونز، بينما تكرر انبهاره الخفي بالثيمات الغربية الغارقة بكروما خضراء فانتازية ومحاكاة في التتر والمشاهد بأجواء «لعبة العروش»؟

قد لا يرتبط الالتزام بالفصحى في الأعمال التاريخية بدواعي الدقة في التوثيق، إنما ببراعتها الذكية في تأكيد الإيهام وهو الحلقة الأهم بين المتلقي والدراما، إذ أنه من المجاورة بعض الشيء استخدام ‹›العامية» سيما وهي تبرز لغة عامية ذكية مطعمة بنكهة فلكلورية تُناسب أجواء العمل إنما عامية دبقة.

تسيطر على الخلافة الإسلامية قوانين علم الاجتماع التي تقيد كل الحضارات، بينما يحاول الاستشراق بشكل دائم التعامل مع الحضارة الإسلامية كشذوذ سحري ظهر إلى العالم خبط عشواء مما يُثقل هذا التأمل ويستقرأه بهالة سحرية مشوشة قد نمسها في التناول التاريخي لظاهرة الحشاشين من فرقة دينية أفرزها واقع تاريخي وسياسي لحالة سحرية من الشر والعنف. يبرز مسلسل «الحشاشين›› شخصية وعالم يوازي كتابات المستشرقين، شخصية كثيفة بكل المساورات تتجلى في كل الاتجاهات إلا إنها تبدد جوهرها.

تجربتي في الترجمة

تنقسم الترجمة عندي إلى نوعين أساسيين: الأول هو ترجمــة تاريخية تتعلق بتاريخ البحرين الحديث، والثاني هو الترجمة الأدبية، وهناك ترجمات أخرى سلكتها في بداية عملي بالترجمة كالترجمات السياسية، لكني تركتها بعد فترة لإيماني بأهمية التخصص في الترجمة ولعدم ميلي من ناحية أخرى إلى مثل هذه الترجمات، فقد كان أول تعاون لي مع مجلة محليّة في مجال الترجمة، «مجلة المواقف» الأسبوعية حيث كنت أنشر أسبوعياً منذ عام ١٩٨٧ وعلى مدى سنة تقريباً مقالات سياسية مترجمة نقلاً عن مجلتي "تايم" و "نيوزويك" الأمريكيتين وغيرهما من المجلات الأوروبية، كل مقال يتراوح بين صفحتين أو ثلاث، معزز بالصور الحية.

مهدي عبدالله

المحطة الثانية في الترجمات السياسية كانت في جريدة الأيام حيث عملت مع مجموعة من المترجمين في بداية تأسيس الجريدة في عام 1989، منهم الدكتور منذر الخور والأستاذ فاروق أمين والدكتور نعمان الموسوي في القسم الخارجي، وكنا نترجم الأخبار التي ترسلها وكالات الأنباء والمواضيع السياسية التي تنشرها بعض الصحف من الإنجليزية إلى العربية وكانت تجربة مفيدة بالنسبة لي واستمررت في العمل في الفترة المسائية بالجريدة قرابة السنة.

أما ترجماتي التاريخية فقد أثمرت حتى الآن عن التالي:

أولاً: ترجمة كتاب مذكرات بلجريف، مستشار حكومة البحرين سابقا أو ما يعرف بالإنجليزية ب Personal Column .

ثانياً: إعداد وترجمة خمسة أجزاء من كتاب "نكهة الماضي".

ثالثاً: ترجمة كتاب "ساحل القراصنة" بالاشتراك مع المترجم فاروق أمين.

ترجمة مذكرات بلجريف

بالنسبة لكتاب بلجريف، لا شكّ أن مؤلفه شخصية مهمة جداً في تاريخ البحرين الحديث بحكم عمله مستشاراً لحكومــة البحرين منذ عام 1926 وحتى عام 1957، أي أكثر من ثلاثين سنة شهدت البلاد خلالها الكثير من التطورات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والسياسية. كنت أسمع عن المستشار كثيراً وأسمع عن كتابه شبه الممنوع، والذي لا توجد منه سوى نسخ نادرة في البحرين، حيث أن طبعته الثانية صدرت في عام 1972 ومضى عليها سبع عشرة سنة حتى ذلك الحين. وهكذا شرعت في ترجمة الكتاب ونشره على حلقات متسلسلة في مجلة «صدى الاسبوع» على مدى 42 أسبوعاً، ولاقت الحلقات اهتماماً واسعاً لدى القراء حتى أن مدير التحرير قال لي وأنا أسلمه الحلقة الأخيرة: وددنا لو كانت هناك حلقات إضافية من المذكرات.

لقد نشرت الحلقات في ظل ظروف سياسية وأمنية عصيبة كانت تعيشها البحرين، وكانت الرقابة على النشر شديدة فاضطررت إلى حذف أجزاء قليلة من الكتاب بعضها يتعلق بالأحداث السياسية في الخمسينات والبعض الآخر عن الطقوس الدينية لطائفة الشيعة، وفصلاً يتحدث عن الخلافات التاريخية بين البحرين وقطر. وكنت في بعض الأحيان أسلم مادة النشر إلى رئيس التحرير فيقوم بشطب فقرات حساسة منها. كما اجتهدت شخصياً بالحرص على توفير الصور التاريخية الملائمة لكل حلقة والتي كنت آخذها من كتاب "البحرين حضارة وتاريخ" وكتاب "أيّام زمان".

وبعد الانتهاء من نشر الحلقات ونجاحها تشجعت على طباعة الكتاب على نفقتي الخاصة، ولم يكن قانون حماية الملكية الفكرية قد طبّق في البحرين بعد، فطبعت الكتاب في بيروت وصدرت الطبعة الأولى منه عام 1991. ولقد لاقى والحمد لله رواجاً طيباً في البحرين وخارجها لما يحتويه من معلومات وتفاصيل تاريخية عن بدايات ظهور النفط وتطوّر التعليم والشرطة ونمو الاقتصاد البحريني والتطور العمراني والثقافي والسياسي لمجتمع البحرين.

«نكهة الماضي»

عقب نشر الحلقات جاءتني فكرة مواضيع وحكايات وطرائف تاريخية من البحرين، فشرعت في تنفيذ الفكرة بجريدة «الأضواء» الأسبوعية، وقد أسميت الحلقات "نكهة الماضي" واستقيتها من مقالات نشرها بالإنجليزية الباحث علي أكبر بوشهري في جريدة "جلف ميرور" في عام 1986، وراعيت أن تكون الحلقات قصيرة كما حرصتُ على نشر صور قديمة مرافقة لكل حلقة حيث أصبح جمع الصور التاريخية الآن من هواياتي الأساسية.

بعد ذلك خاطبت وزير الإعلام بأن تتكفل الوزارة بطبع الحلقات في كتاب، فوافق على تحمل الوزارة نصف النفقات وتم طباعة الجزء الأول من الحلقات باللغتين العربية والانجليزية في مطبعة وزارة الإعلام وصدر عام 1994.

استمررت في نشر حلقات جديدة من نكهة الماضي لكن ليس في «الأضواء» بل في جريدة «أخبار الخليج»، ووسعت المصادر التي أستقي منها مقالاتي، ومنها التقارير السنوية لحكومة البحرين وتقارير الوكالة السياسية البريطانية في البحرين وتقارير الإرسالية الأمريكية والعديد من المراجع التي رحت أنقبّ فيها في مكتبة المنامة العامة ومكتبة المعهد البريطاني (بريتيش كونسل) وبعض المجلات كمجلة "الوثيقة" و»جلف ديلي نيوز» هذا بالإضافة إلى بعض الكتب العربية التي تتحدث عن البحرين أو منطقة الخليج. وأثمر ذلك عن صدور الجزء الثاني من الكتاب في عام 1996 وكان باللغة العربية فقط.

وواصلت نشر الحلقات في الجريدة المذكورة ثم توقفت لثلاث سنوات ،بعدها عاودت نشر حلقات جديدة منها ولا زلت أواصل النشر حتى الآن وقد صدر الجزء الثالث من هذه السلسلة في بداية عام 2007 وباللغة العربية فقط .

وصرت مؤخراً أركّز على المواد المكتوبة باللغة العربية عن البحرين وأعدّها للنشر، وحظيت الحلقات بعد نشرها في جريدة يومية بالانتشار والاهتمام من قبل العديد من القرّاء، لما تتميز به من معلومات تاريخية جديدة منقولة عن مصادر دقيقة وموثقة باليوم والسنة والتفاصيل الصحيحة مما اكسبها المصداقية والقبول، وأعتقد أنني بذلك ساهمت ولو بجزء يسير في الإضافة إلى تاريخ البحرين الحديث. وقد وفقت لإصدار الجزء الرابع من سلسلة (نكهة الماضي) في العام 2015 تلاه الجزء الخامس في العام 2022

«ساحل القراصنة»

أما كتاب "ساحل القراصنة" لمؤلفه تشارلز بلجريف أيضاً، والذي يتحدث عن منطقة الخليج العربي في بدايات القرن التاسع عشر من خلال يوميات ضابط بحري بريطاني يصف فيها أعمال القرصنة التي تتعرض لها السفن الأجنبية في الخليج، ويتطرق إلى تاريخ القواسم والأسر السعيدية التي حكمت عمان لسنوات طويلة، وإلى الحركة الوهابية والأحداث التي لحقت بالمنطقة، فقد ترجمته بصورة مشتركة مع الأستاذ فاروق أمين عام 1994، وحاولنا عدّة مرات أن نحصل على جهة تتولى طباعته إلا أننا لم نفلح، إلى أن وافقت أخيراً دار نشر لبنانية على طباعته بالتعاون مع مؤسسة الأيام

البحرينية وقد صدر الكتاب في عام 2006.

تجربتي في الترجمة الأدبية

اتجهت إلى الترجمة الأدبية بسبب شغفي وميلي للقصص القصيرة والرغبة في تطوير نفسي في هذا المجال، بالإضافة إلى رغبتي في أن يطلع القراء البحرينيون والعرب على نماذج من الأدب العالمي. وكانت البداية في عام 1991 حينما ترجمت قصة بعنوان «الرجل ذو الندبة» للأديب الإنجليزي الشهير سومرست موم ونشرتها في صفحة الثقافة بـ«أخبار الخليج».

وفي منتصف التسعينات عاودت هذه الهواية بعد أن طلبتُ من الخارج مجموعة من الكتب التي تشتمل على قصص قصيرة متنوعة، بعضها قصص كلاسيكية لأدباء عالميين، والبعض الآخر قصص حديثة لكتّاب جدد، وأخذت أترجم هذه القصص وأنشرها في الملحق الثقافي بأ "أخبار الخليج». ومن الكتّاب الذين ترجمت لهم إرنست هيمنجواي الأديب الأمريكي الشهير الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1954 والذي ترجمت له حوالي سبع قصص حتى الآن وأعجبت بأسلوبه وبساطة تعابيره، رغم عمقها وإمكانية تأويلها إلى أكثر من مدلول.

كذلك ترجمت قصصاً لأدباء كبار أمثال جراهام جرين وكافكا وكاثرين مانسفيلد وجيمس جويس وتشارلز ديكنز وفيرجينيا وولف وجون شتاينبك وتشيكوف ومورباسان ودوستوفسكي وغيرهم. كما لم اقتصر في ترجماتي القصصية على الأدباء المشهورين في النصف الأول من القرن الماضي بل إمتد ذلك إلى الأدباء المعاصرين حيث ترجمت عدة قصص للروائي الشهير جابريل جارسيا ماركيز، وقصة واحدة بعنوان "الحب، الحب، الحب وحده" للأديب البريطاني الترينيدادي الأصل نيبول الحاصل على جائزة نوبل عام 2001.

كما ترجمت قصة بعنوان كتاب الرمل للأديب الأرجنتيني بورخيس، وقصص لأدباء آخرين كالأديبة سوزان هل والأديب الاسترالي موريه بيل وغيرهم. كما لم اقتصر في ترجماتي على الأدباء الغربيين من دول أوربا وامريكا كما يعتقد البعض بل امتد لكتّاب من آسيا وأمريكا اللاتينية واستراليا حيث ترجمت قصصاً لأدباء يابانيين منهم تتسوم سوسيكي وياسناري كاوباتا وكتّاب من الهند والصين وباكستان والبرازيل وفنزويلا والأرجنتين.

وقد حرصت على ان تكون القصص التي أختارها للترجمة متوسطة الطول ملائمة للنشر على صفحات الجريدة ولا ترهق دماغ القارئ بطولها وثقلها.

فرق بين الترجمتين

هناك فرق كبير بين الترجمة التاريخية والترجمة الأدبية حيث أن الأولى تكون ترجمة مباشرة ليس فيها لبس في المعنى ولا تستغرق وقتاً طويلاً، بينما الترجمة الأدبية تتطلب التأمل والتدقيق في الألفاظ والعبارات فهناك الكثير من الكلمات الإنجليزية لها معان عديدة بعضها أحياناً مختلف كليّة عن الآخر، وقد تنتاب المترجم الحيرة في اختيار المعنى الذي قصده الكاتب، كما أن بعض العبارات والألفاظ ربما لا توجد في بيئتنا العربية ويستدعي ذلك شرحها أو البحث عن دلالتها. كما التزمت قدر الإمكان بالعناية والتأني في ترجمة القصة لكي أنقلها لأقرب ما يكون من المعنى الذي قصده كاتبها، رغم أن بعض القصص ترجمتها عن لغة ثانية غير لغتها الأصلية مما يقلل من مجاراة أسلوب الكاتب أو دقة ما ذهب إليه.

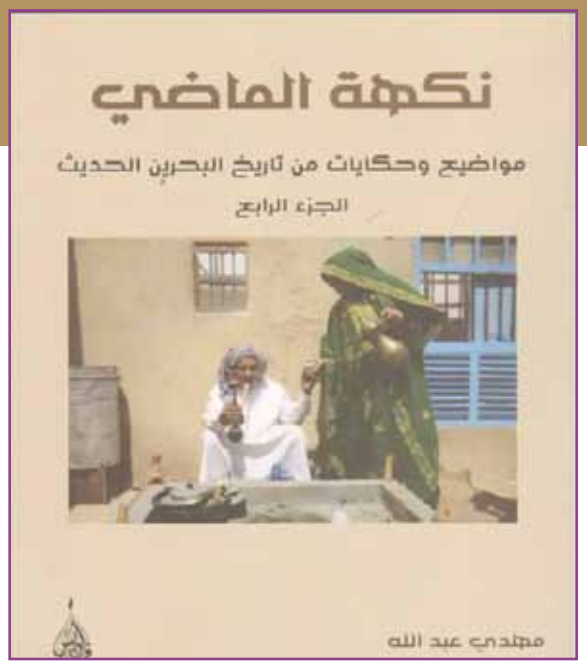

وأثمرت هذه الترجمات عن صدور كتاب «قصص مختارة من الأدب العالمي» في نهاية 2002 وذلك ضمن مشروع النشر المشترك الذي تقوم به مشكورة وزارة الثقافة والإعلام البحرينية بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب بحريني يتضمن قصصاً قصيرة مترجمة.

والحمدلله أنّ هذه القصص لاقت الترحيب والاستحسان في الأوساط الأدبية في البحرين وخارج البحرين وأحسب أنها جاءت لتضيف إلى جزء مهم من الثقافة البحرينية وهو التواصل مع الآداب الأجنبية مما أعطاني الثقة والتشجيع على الاستمرار. وفي عام 2006 صدر الجزء الثاني من هذه القصص بدعم من مركز جدحفص الثقافي واشتمل على 18 قصة لمؤلفين آخرين من مختلف دول العالم.

وفي عام 2010 أصدرت قصصاً مختارة من الأدب الأمريكي الحديث الذي يتضمن 28 قصة قصيرة لأدباء معاصرين.

وعلى صعيد ثانٍ مرتبط بالترجمة القصصية، كنت قد شرعت في دراسة دبلومَ القصة القصيرة والصحافة في أحد المعاهد التعليمية الأمريكية في بداية الألفية الثالثة، وتضمن المنهج إرشادات لكتابة القصة وعناصرها ومصطلحاتها وكيفية

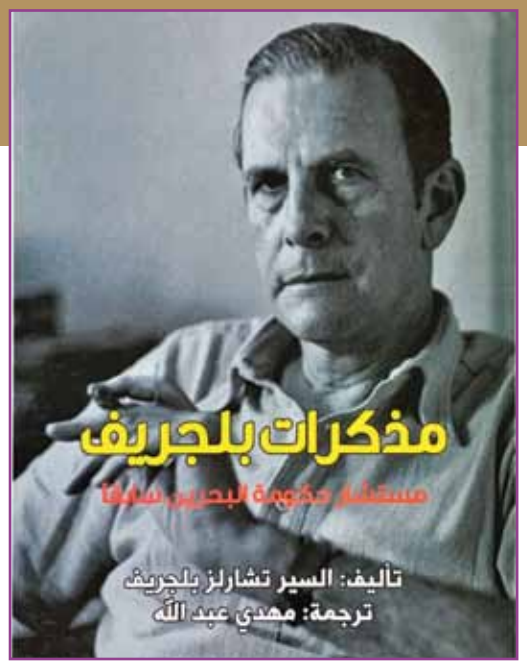

كتابتها وأبحاث وآراء تتعلق بها فرأيت أنه من المناسب ترجمة بعض هذه المواضيع ونشرها على حلقات كمادة أدبية. ولقد لقيت هذه الحلقات التي استمرت لعدة أشهر اهتماماً من قبل بعض النقاد وهواة القصة.

ومن ناحية أخرى أسعى دائماً إلى التوسع في الترجمات الأدبية المتعلقة بالقصة والرواية واتجهت خلال العقد الماضي إلى البحث عن المراجعات النقدية أو الكتابات الصحفية عن القصص والروايات الكلاسيكية أو الحديثة سواء في الكتب الصادرة باللغة الإنجليزية أو المجلات البريطانية والصحف الخليجية، وترجمتها لتعميم الفائدة منها.

وكنت في هذه الفترة أتوجه باستمرار إلى مكتبة المعهد الثقافي البريطاني وأطلع على الصفحات والملاحق الثقافية في المجلات والصحف الإنجليزية وأختار المناسب منها، كذلك كنت أقضي أوقاتاً طويلة في مكتبة المنامة العامة أفتش بين صفحات الجرائد الخليجية الصادرة بالإنجليزية لنفس الغرض، بالإضافة إلى شراء بعض الكتب الأدبية من مكتبة العائلة. وقد اسفرت هذه التجربة عن نشر العديد من المواضيع التعريفية والنقدية لكثير من روائع الكتب الأدبية.

وعلى صعيد آخر اتجهت قبل بضع سنوات إلى نطاق آخر من الترجمة الأدبية حيث أقدمت على ترجمة العديد من القصائد العالمية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وكنت متخوفاً من هذه التجربة أول الأمر لصعوبة ترجمة الشعر لكني تشجعت ونشرت سلسلة من الأشعار المترجمة في الصحف المحلية والتي لاقت القبول من قبل البعض، ومن الشعراء الذين ترجمت لهم الشاعر الكبير ناظم حكمت.

والشاعر المعروف بابلو نيرودا بالإضافة إلى عشرات الشعراء والشاعرات من الهند وباكستان الذين يكتبون بالأردو لكن ترجمتي لهم كانت عبر اللغة الإنجليزية.

التقدمي

التقدمي العدد 198 ـ مايو 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

حقول القتـــل

سماء عيسى

ربما ونحن نجري في الغابات تفترسنا الذئاب
ربما نسمع صراخ الغرقى في البحيرات منذ ألف عام
هربا من حروب عبثية زائفة !

ماذا يدور في حقول القتل ؟
ماذا يدور في المدن سارقة أحلام الفلاحين ورعاة الإبل ؟
لا أتذكر غير أنين امرأة في الليل تبحث عن ابنها المفقود
أتذكر انتظار الفجر حيث الحزن يسكن الليل
كمن ينتظر موتا قادما مع غياب القمر في الأودية والجبال .

لن أعود اليك أيتها المدن الغبية
أيتها المدن حاملة الكآبة والعدم واللصوص والمشوهين من رداءة الأعماق

أود أن أبقى وحيدا وأعيش كمن يتبع النجم في طريقه إلى بيت لحم
أو كمن كتب مراثي الكون في الصحراء
هرع إليها حافيا واختبأ بها عن الجلادين والطغاة وسارقي حليب الأمهات
من الرضع قبيل الفجر .

كل شيء مطفأ

كل شيءٍ مطفأ

كالرياح وهي تواجه عبث الأيام
البحر خالق فراق الأحبة
أنحسر صامتا .
كنار تهدأ ويهدأ معها الحب
تهدأ فراشات الفجر
يهدأ نقيق الضفادع الليلي
عند منابع الأفلاج.

النسوة يغتسلن فجرا من عبث الليل
يتحدثن :غدا في الفجر يعود الفارس السحري
معه أسماء المفقودين وجثث الأحبة القتلى.

من يرسل إلينا في هذا الليل الصمت ؟
بعد العودة من دفن ضحايانا
من يرسل إلينا الورد
حنين الأطفال
إلى كراس الواجب
إلى أحذية المدرسة البالية
إلى الشجرة الأم
في وحدتها عند النبع ؟.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com